كتابي

حلمي مراد



البدوية الحسناء

لوحة للفنان الإيطالى "سجونيا ميليو"

(من محتويات قصر النيل بالقاهرة)

كتابى

السلسلة العربية لتلخيص الكتب العالمية

صاحبها ورئيس تحريرها : حلمى مراد

الكتاب الثامن والتسعون

الاشتراكات والأعداد السابقة : التفصيلات صفحة ١٧٧
الرسائل والمكاتبات : ١٨ شارع العباسيين مصر الجديدة ·
الادارة : ٢٣ شارع عرابى ، شقة ١١١ ، بالقاهرة
تليفون : ٤٦٤٧٥

ثمن النسخة : ١٥ قرشا



« فرار العائلة المقدسة الى مصر »
لوحة للفنان والمؤرخ الالمانى «فرديناند كيللر» (١٨٤٢ - ١٩٢٢)
(صورها لكتابى عن الأصل : الفنان سليم يوسف)

عزيزى القارىء ..

● فى ٤ مايو الماضى ، أصدر قداسة البابا كيرلس السادس ، بطريرك الاقباط الارثوذكس ، بيانا أعلن فيه رسميا أنه منذ مساء يوم الثلاثاء ٢ أبريل ١٩٦٨ توالى ظهور السيدة العذراء مريم على قباب كنيستها فى الزيتون ، على طريق (المطرية) الذى مرت به العائلة المقدسة فى تنقلاتها خلال اقامتها بمصر منذ نحو ألفى عام .

وأضاف البيان البابوى أن هذا الظهور ـ الذى صاحبته معجزات شفاء باهرة ، من أمراض مستعصية ـ شاهدته آلاف عديدة من المواطنين من مختلف الاديان والمذاهب ، ومن الاجانب . وقد كان ظهور العذراء بأشكال مختلفة : بالجسم الكامل أحيانا ، وبالنصف العلوى أحيانا أخرى ، تحيط بها هالة من النور المتلألىء ، وكانت تتحرك وتتمشى فوق القباب ، وتواجه المشاهدين وتباركهم بيديها وبايماءات رأسها المقدس .

ومنذ ذلك اليوم واسم السيدة العذراء يحتل مكانا بارزا فى صحف العالم واذاعاته .. وأصبحت كنيستها بالزيتون مزارا يحج اليه الناس من شتى بقاع العالم ، وتنظم من أجله الرحلات السياحية .

وفى هذه المناسبة الفريدة ، يقدم كتابى لقرائه ، فى مصر والعالم العربى ، تلخيصا لكتابين يغطيان هذا الحدث غير العادى : الكتاب الاول ظهر فى الاسبوع الماضى ، بالانجليزية ، عن حضارة مصر فى العصر القبطى ، بعنوان *(Coptic Egypt)* ، وقد لخصنا لك منه كل مايتعلق بتنقلات العائلة المقدسة خلال العامين اللذين قضتهما فى مصر ، والكتاب من تأليف الاستاذ الدكتور مراد كامل ، نائب عميد المعهد العالى للدراسات القبطية ، ونائب رئيس جمعية الآثار القبطية ، والحائز على الدكتوراه من جامعة (توبينجن) بألمانيا ، والاستاذ بكلية الآداب بجامعة القاهرة

والكتاب الثانى : «مريم العذراء» ، بقلم القس زكريا خليل النخيلى (طبعة القاهرة) . وقد لخصه لك الدكتور وليم الميرى ، الحاصل على الدكتوراه فى الآداب من جامعة القاهرة .

ميلاد العذراء

جاه وثراء .. وعقم ومذلة !

● كان « يواقيم » رجلا غنيا ، ذا جاه عظيم وثراء عريض ، وكانت زوجته « حنة » امرأة عاقرا ، لا تنجب نسلا . وفى ذلك العصر كان الحرمان من النسل تجربة قاسية ، بل كان يعد عارا ومذلة ... فارتفع صوت الزوجين التقيين بالدعاء والتضرع الى الله كى يهبهما نسلا ، ناذرين أن يكرسا ما يهبهما الله من نسل - ذكرا كان أو أنثى - لخدمة الهيكل .. وراحت « حنة » تردد فى صلواتها : « ها أنا يا الهى ، أنذر بين يديك أن النسل الذى تعطينى لا أدعه يمشى على الأرض حتى أقدمه الى هيكلك المقدس ! »

وفيما هى تناجى ربها ذات مرة ، تطلعت وهى فى حديقة بيتها ، فأبصرت عش عصافير فوق غصن شجرة زيتون ، وقد أخذت العصافير الكبار تطعم صغارها ، فأيقظ فيها هذا المنظر عاطفة الأمومة المكبوتة ، وبدأت تبكى بحرقة ، وعندئذ ظهر لها ملاك الرب « جبرائيل » وسط هالة من نور سماوى ، وزف اليها البشرى بأن الله قد استجاب لصلاتها ، وانها ستحمل وتلد ابنة مباركة تطوبها جميع الأجيال ، لأن منها يكون الخلاص لذرية آدم .. واختفى الملاك تاركا « حنة » فى فرحة فياضة !

.. ثم انطلق الملاك الى يواقيم زوج حنة ، وكان قد خرج الى البرية فأقام لنفسه خيمة مكث فيها أربعين يوما يصلى ويصوم ، كى ينقذه الله من مذلته .. فبشره الملاك قائلا : « قم وامض الى زوجتك المباركة حنة ، فانها ستحمل وتلد ابنة عذراء ، وتدعوها مريم ، ومنها يخرج خلاص العالم . » (١)

---

(١) تحتفل الكنيسة القبطية فى يوم ٧ من شهر « مسرى » ، كل عام ، ببشارة الملاك ليواقيم بميلاد العذراء .

وعاد يواقيم الى بيته ، فاستقبلته حنة مهللة ، وقصت عليه ما كان من الملاك جبرائيل ، فأخذ الزوج قربانه ومضى مع زوجته الى الهيكل ، ملتمسا من الرب علامة تنبىء باتمام وعده لهما .. وفيما هو يرفع القرابين، تطلع فاذا تاج نورانى يهبط عليه من السماء ، فاستراحت نفسه ، وعاد مع زوجته الى بيته فرحين مسرورين ..

وحملت « حنة » ، وقضت كل أيام حملها فى صوم وصلاة وتسبيح ، حتى ولدت وحيدتها العذراء الطاهرة ، وأطلقت عليها ـ حسب بشارة الملاك لها ـ اسم « مريم » . ورباها والداها حتى بلغت عامها الثالث ، وعندئذ قدماها الى هيكل الرب ، وفاء للنذر ، كى تشب فى رحاب بيت الله ، بين العذارى من خادمات الهيكل .

تهب طعامها للمحرومين ، فتطعمها الملائكة ..

● وكانت الطفلة مريم ـ فى حياتها الجديدة ـ كالحمامة الطاهرة . وكان من عجيب أمرها أنها صارت تجمع الفقراء كل يوم ، وتقدم لهم طعامها الذى يرسل اليها من بيت أبيها ، دون أن تتناول منه شيئا ! .. فحار الكهنة فى أمرها ، وراحوا يتساءلون : « انها تهب طعامها كله للمحرومين ، فكيف تعيش اذن ، ومن أين تسد رمقها ؟ » .. ولم تلبث الحقيقة ان تجلت للجميع فى أحد الأيام ، حين رأوا نورا ساطعا يغمر مخدعها ، وملاك الرب يقدم لمريم طعاما سماويا .

تتنازل عن ميراثها كله للفقراء !

● واذ أتمت مريم عامها السادس وهى فى الهيكل ، توفى أبوها ، ثم توفيت أمها وهى فى الثامنة . وعندما آل اليها كل ميراث أبيها ، أمرت بأن توزع الأموال والممتلكات على الفقراء والمحرومين ، وخدام الهيكل .. ثم مكثت فى الهيكل ، مثالا للوداعة والطهر ، حتى بلغت الثانية عشرة ـ وهى السن التى يتقرر فيها مصير عذارى الهيكل ـ فتشاور زكريا رئيس الكهنة مع بقية الكهنة ، واتفقوا على أن يرتدى زكريا مسوح الهيكل ويصلى لله من أجلها ، ملتمسا ارشاد السماء فى شأن تقرير

مصيرها . وعندئذ ظهر ملاك الرب لزكريا وخاطبه قائلا :

ـ يازكريا ، أخرج واجمع خلقا عظيما من شيوخ وشبان ، وخذ عصيهم واكتب أسماءهم عليها ، فيختار الرب من بينهم من يصلح لأمته العذراء مريم .

وعمل زكريا ما أمره به الملاك ، ثم جمع العصى ودخل بها الى قدس الأقداس ، ورفع صلاته الى الله . ثم خرج بالعصى وطلب أن يتقدم كل رجل ليأخذ عصاه .. وكان من بينهم « يوسف » النجار . فلما تقدم يوسف ليأخذ عصاه ، انطلقت من العصا حمامة بيضاء ، استقرت على رأس يوسف ، فقال الكاهن زكريا له :

ـ لقد صارت عذراء الرب لك ، فلتأخذها وتحفظها فى بيتك ، ولتكن لك شبه زوجة كما قال ملاك الرب . انها نفس زكية لم نجد مثلها بين أبناء النذور وعذارى الهيكل ، فلا تعص أمر الرب فيها ، ولتأخذها الى بيتك . انها وديعة الرب بين يديك !

فلما سمع يوسف هذا القول رفع عينيه الى السماء قائلا : «أسألك يا اله آبائنا ، الأبرار الصديقين ، أن تدبر حياتى وفق مشيئتك ، ولا تحجب وجهك عنى ، ولا عن أمتك هذه العذراء التى أعطيتنى ! » .. ثم سجد بين يدى الله ، أمام الكهنة ، قائلا : « هوذا أنا عبد الرب . اصنعوا بى ما تريدون ، ولتكن مشيئته فى حياتى . »

.. فأخذ زكريا « مريم » من يمينها ، وسلمها الى يوسف ، بعد أن باركها .. فتوجه يوسف ومريم الى بيته فى (الناصرة) .

سلام لك أيتها الممتلئة نعمة !

● انقضت ثلاثون يوما بعد مغادرة مريم الهيكل ، واجتمع الكهنة يفكرون فى عمل ستار يستخدم كحجاب على باب مذبح الغفران ، فقالوا : « ندعو ثمانى عذارى طاهرات حكيمات كى يشتركن فى نسج الستار » .

ولكن الكهنة لم يجدوا فى الهيكل سوى سبع عذارى ، فذكرهم أحدهم بمريم ، فأرسلوا فى طلبها وأوضحوا لها طلبهم ، فرحبت به ..



لوحة معبرة للفنانة «ايلسى أنا وود» تمثل العذراء مريم فى ثياب فتاة قروية من «الناصرة» ، تخفض بصرها فى تواضع أمام الضياء الباهر الذى يشع حول الملاك جبرائيل وهو يبشرها بولادة المسيح ٠

فأحضروا لها كل ما تحتاج اليه لعمل الستار من نسيج الارجوان ، وخيوط الذهب . فلما أخذت مريم كل ذلك عادت الى (الناصرة) ، حيث عكفت أربعة أشهر كاملة ساهرة على عملها ..

وفى يوم من أيام الآحاد ، خرجت مريم من بيتها تحمل جرتها لتستقى ماء من العين القريبة . وفيما هى وحيدة عند العين ، اذا صوت ملاك الرب يناديها قائلا :

ـ سلام لك أيتها الممتلئة نعمة ! .. الرب معك . مباركة أنت فى النساء ، ومباركة هى ثمرة بطنك .

.. والتفتت مريم تبحث عن مصدر هذا الصوت ، ولكنها لم تر أحدا .. فحملت جرتها وأسرعت عائدة الى بيتها ، وفى أعماقها مزيج من الخوف والرهبة . وجلست ، وحيدة ، تستأنف عملها فى غزل ستار الهيكل ، واذا بالملاك جبرائيل واقف أمامها ، يعيد على مسمعها قوله الذى سمعته بجوار عين الماء :

ـ سلام لك أيتها الممتلئة نعمة ..

فلما رأته خافت واضطربت ، فقال لها الملاك :

ـ لاتخافى يامريم ، لأنك وجدت نعمة عند الله ، وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه « يسوع » ..

فأغمضت العذراء عينيها ، وشرد ذهنها الى الرسالة المماثلة التى تلقاها الكاهن زكريا عن قريبتها « اليصابات » . ان اليصابات هى الأخرى حملت وستلد ابنا ، وسيكون اسمه «يوحنا» ـ المعمدان .

وسألت مريم الملاك .. لا فى احتجاج أو معارضة ، ولكن فى تساؤل ساذج برىء :

ـ كيف يكون هذا ، وأنا لا أعرف رجلا ؟

فاكتسى وجه الملاك عطفا وحنانا ، وجاءها صوته العميق يقول موضحا :

ـ الروح القدس يحل عليك، وقوة العلى تظللك.. وهذه «اليصابات» نسيبتك هى الأخرى حملت بابن شيخوختها ، وهذا هو الشهر السادس

لتلك المدعوة عاقرا .. لأنه ليس شيء غير ممكن لدى الله ..

وكانت تعرف هذه الحقيقة المتعلقة بنسيبتها اليصابات ، فآمنت بقوله ، وقالت بصوت خافت مستسلم :

ـ ها أنا أمة الرب ، فليكن لى حسب قولك .

.. وعندئذ تلاشى الملاك من أمامها فجأة ، فمضت مريم الى فراشها تترنح ، وهناك ركعت على ركبتيها وانخرطت فى البكاء وهى تصلى صلاة عميقة .. فلقد كان الأمر أكبر من أن تدركه فتاة صغيرة السن ، طاهرة القلب والفكر .

زيارتها لزكريا واليصابات

● وشعرت مريم برغبة ملحة فى أن تفرح مع نسيبتها « اليصابات » بمولودها المنتظر ، وقد وجدت نفسها فى ظروف مشابهة .. فمضت لزيارة اليصابات .

وكانت الرحلة طويلة وشاقة بين البلدين .. لكن صورة «اليصابات» كانت تغلب على أفكارها فتشجعها طوال الطريق .. وقرب غروب اليوم الثالث وجدت مريم نفسها أخيرا على قيد خطوات من بيت زكريا .. واليصابات جالسة على عتبة الباب وهى حامل فى شهرها السادس .

وأذهل مريم أن تسمع اليصابات تصيح بها من بعيد ، فرحة منتشية :

ـ السلام لك يا مريم ،. مباركة ثمرة بطنك ..

فتوقفت مريم فجأة عن السير ، وقد تذكرت هذه الكلمات التى خاطبها بها الملاك من قبل .. وسألت نسيبتها فى دهشة :

ـ انك تعيدين ما قاله الملاك ! .. كيف عرفت ذلك ؟

فعانقتها اليصابات فى لهفة ، وأجابتها : « عندما رأيتك ارتكض الجنين من الابتهاج فى بطنى ، فطوبى للتى آمنت ، لأنه سيتم ما قيل لها من قبل الرب . »

.. وبصوت ناعم رقيق ، نطقت مريم بكلمات ، لم تكن تدرى يومئذ ان العالم كله سيظل يردد من بعدها آلافا متوالية من السنين :

« تعظم نفسي الرب ، وتبتهج روحى بالله مخلصي ، لانه نظر الى اتضاع أمته ، فهوذا الآن تطوبنى (١) جميع الأجيال ، لان القدير صنع بى عظائم ، واسمه قدوس ، ورحمته الى جيل الأجيال للذين يتقونه . صنع قوة بذراعه ، شتت المستكبرين بفكر قلوبهم . أنزل الاعزاء عن الكراسى ، ورفع المتضعين .. أشبع الجياع خيرات ، وصرف الأغنياء فارغين . »

.. ثم عادت مريم من زيارتها لقريبتها اليصابات ، بعد أن أقامت عندها نحو ثلاثة أشهر ، وذات يوم ظهر ملاك الرب لخطيبها يوسف فى حلم ، وقال له : « يا يوسف ، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك ، لأن الذى فى أحشائها هو من الروح القدس ، وستلد ابنا وتدعو اسمه « يسوع » لانه يخلص شعبه من خطاياهم . »

ميلاد المسيح

● ولما تمت أيام العذراء لتلد ، غادرت مدينة الناصرة - قبل ذلك بقليل - مع خطيبها يوسف ، متجهين الى قرية (بيت لحم) ، تنفيذا لمرسوم الامبراطور الرومانى « أغسطس قيصر » الذى فرض على الاهالى أن يعود كل منهم الى مسقط رأسه ليسجل اسمه فى « الاكتتاب » (أى الاحصاء أو التعداد) الذى أمر باجرائه فى ذلك العام . ومن ناحية أخرى كان لابد أن تتم نبوءة التوراة (فى سفر « ميخا » اصحاح ٥ ، آية ٢) بولادة المسيح فى بيت لحم .

وفيما يلى تفصيلات قصة الميلاد كما أجمعت عليها « الميامر » (٢) وأقوال الآباء وكل الكتب الكنسية القديمة والحديثة :

سارت العذراء فى طريقها الى بيت لحم ، وقد أركبها خطيبها يوسف

(١) تطوبنى ، أى تحيينى وتغبطنى . « وطوبى » معناها : يا لغبطة .. ويالسعادة ..

(٢) « الميامر » جمع « ميمر » ، وهى كلمة سريانية بمعنى سيرة أو تاريخ حياة شخص

على دابته ، أما هو فقد سار وراءها على قدميه ، وكان ينظر اليها فيراها عابسة أحيانا ، وباسمة أحيانا أخرى .. ولما سألها عن السر أجابت : « انى أرى ملاكين ، أحدهما يبكى والآخر يضحك ، سائرين أمامى » ..

ولم يمض وقت حتى شعرت بآلام المخاض ، فأسرع يوسف فى السير بها حتى وصلا الى حدود بيت لحم ، ولما لم يجدا فى القرية مكانا يلجآن اليه ، فقد لجآ الى مغارة من مغارات الرعاة ، فدخلت العذراء اليها ، بينما أسرع يوسف الى البلدة ليحضر لها قابلة . ولما عاد بها وجد العذراء ترضع طفلها ! .. ولم تظهر عليها أدنى علامة للتعب كبقية النساء . وبعد ثمانية أيام حل موعد ختان الطفل ، فأطلقوا عليه اسم « يسوع » كما دعاه الملاك قبل أن تحبل به أمه .

مريم « الوالدة » فى الهيكل

● وبعد أربعين يوما غادرت العائلة المقدسة (بيت لحم) فى طريقها الى أورشليم (القدس) ، مقر الهيكل . وكانت المسافة بينهما نحو ستة أميال ، استغرقت منهم حوالى ثلاث ساعات . وفى طريقها الى الهيكل ، كانت مريم تستعرض ذكريات الاحد عشر عاما التى قضتها فى الهيكل ، وفاء بنذر أبويها . انها تعود الآن الى الهيكل بعد أن اغتربت عنه مدة لاتقل عن سنة كاملة ، وهاهى تعود الآن حاملة طفلها على ذراعها ، لتقوم بمراسم التطهير ، وفقا للشريعة ، (وان كانت غير ملزمة بذلك لان طفلها لم يولد من زرع بشر ، بل جاء من الروح القدس) ، كما أرادت أن تقدم ذبيحة للرب زوج يمام ، أو فرخى حمام .

دخلت مريم الهيكل فى تؤدة واتزان ، ولم تكن فى حاجة الى دليل ، اذ كانت مسالك الهيكل معروفة لديها . دخلت من الباب الشرقى ، مارة برواق سليمان ، ودار الأمم ، ثم الى باب نيكابور ، لتقف على احدى درجاته الخمسة عشر ، مع النسوة اللواتى يردن التطهير . ويحدثنا الكتاب المقدس أن الروح القدس أوحى الى سمعان الشيخ ــ وكان شيخا تقيا ــ انه لن يرى الموت قبل أن يرى المسيح .. وفى ذلك اليوم أوحى اليه أن يتوجه الى الهيكل ليكون فى شرف استقبال العذراء وطفلها

يسوع ، فلما رآهما أخذ الطفل على ذراعيه وبارك الله وقال : « الآن تطلق عبدك ياسيد حسب قولك بسلام ، لأن عينى قد أبصرتا خلاصك . »

وتقدمت العذراء بذبيحة الفقراء - وهى زوجا حمام أو يمام - بينما كان الاغنياء يقدمون خروفا عمره سنة أو يزيد . وكان ثمن الخروف فى ذلك الوقت خمسة عشر قرشا ، فى حين لم يكن ثمن زوج الحمام واليمام معا يزيد عن ثلاثة قروش .

ثم مضت العذراء الى الدرج ، مع النسوة المتطهرات ، تستمع الى العبادة فى صمت وتأمل ، ورائحة البخور الزكية تتصاعد من مذبح البخور الذهبى ، رمز الصلوات المرفوعة الى الله .

الهروب الى مصر

● بعد مولد المسيح بسنتين ، وكان قد انتشر بين الناس خبر مولد مخلص للشعب ، بلغ الخبر مسامع الملك « هيرودس » ، فظن من استقراء نبوءات الانبياء أن المسيح قد جاء ليكون ملكا فى مكانه ، فدفعه الفزع من سقوط عرشه ، وزوال مجده وسلطانه ، الى أن يصدر أمرا بالبحث عن الطفل وأمه .. فلما باءت مساعيه بالفشل ، أمر بقتل كل الاطفال الذين تتراوح أعمارهم حول السنتين ، كى يستوثق من موت « منافسه » الطفل !

وانتشر جنود هيرودس يذبحون الاطفال فى كل مكان ، وفاضت الدماء البريئة كالانهار .. وفى هدأة الليل ، والناس نيام ، أوحى ملاك الى يوسف أن يأخذ مريم والطفل ويفروا من وجه الملك السفاح هيرودس الى أرض مصر .. فخرجوا ومعهم قابلة من أقاربهم تدعى « سالومة » .

وقبل أن يغادروا (بيت لحم) ، مكثوا برهة فى مغارة معروفة عند العرب اليوم باسم (مغارة السيدة) ، تقع فى الجنوب الشرقى من كنيسة بيت لحم .. ومنها اتجهوا نحو الميناء الفلسطينى القديم

«عسقلون» (١) ، ثم شرقا نحو (الخليل) .

.. وسار الركب المتواضع فى ظلمة الليل ، لا يحمل معه من المؤونة غير الكفاف ، وقد تمكن الخوف من نفوس أفراده .. فلم تشرق عليهم شمس الصباح الا وقد غادروا المنطقة الآهلة بالسكان ، وبدأوا سيرهم فى البرية المقفرة المخيفة . وعلى بعد أربعين كيلومترا من (الخليل) ، فى اتجاه الغرب ، وصلوا الى مشارف (غزة) .. ثم ساروا بمحاذاة ساحل البحر الأبيض ، وبعد ساعتين كانوا قد عبروا (وادى غزة) .

وبعد مسيرة يوم كامل من غزة ، وصلت العائلة المقدسة الى (خان يونس) ـ التى كانت تعرف يومئذ باسم *Jenysos*

وكانت « المحطة » التالية للعائلة المقدسة بلدة (رفح) ، ومنها واصلت فرارها سالكة طريق القوافل حتى وصلت بعد ٤٤ كيلو مترا أخرى ، اجتازتها فى يومين ، الى ترعة (وادى العريش) . وبعد أن عبرتها وصلت الى بلدة العريش نفسها ، (وكانت تسمى في ذلك الوقت *Rhinocolura*

وكانت أول بلدة تالية على طريقهم هى *Ostrakini* أوستراكينى ، التى اختفت من الوجود منذ زمن طويل ، ولو أنه ماتزال توجد بقرب العريش قرية تدعى (ستراكى) .

وعند الطرف الجنوبى الغربى من طريق القوافل الموصل من فلسطين الى مصر ، وصل الركب الى ميناء (الفرما) الذى كان مفتاحا لمصر . وقد دلل الراهب « اليونانى » ابيفانيوس (فى القرن التاسع) ، و « برنارد الحكيم » (٨٧٠ بعد الميلاد) على ان العائلة المقدسة نزلت بتلك البلدة التاريخية التى تبعد عن مدينة بور سعيد الحالية بنحو

(١) « عسقلون » قرية ساحلية قديمة على شاطىء فلسطين ، لم يبق منها اليوم سوى أطلال بجوار (المجدل) . كان المصريون قد استولوا عليها فى عهد رمسيس الثانى (عام ١٢٨٥ ق.م.) ، ثم غزتها امبراطوريات متعاقبة ، وغزاها العرب عام ٦٣٦ . وهزم فيها الصليبيون سلطان مصر (١٠٩٩ ، ولكن صلاح الدين الأيوبى استردها (١١٨٧) ، ثم دمرت عام ١١٩١ . وأتم السلطان بيبرس تدميرها تماما فى عام ١٢٧٠ .



[illegible] بة طعام ، أثناء فرار العائلة المقدسة الى مصر » . لوحة
[illegible] ية بمتحف غرناطة بأسبانيا ، للرسام الاسبانى «جوان
سانخيز كوتان» (١٥٦١ - ١٦٢٧)

٢٥ كيلو مترا . وكان يحكم مصر يومئذ الوالى الرومانى « جايوس تورانيوس » .

.. ثم عبر الركب ممر (القنطرة) الضيق ، الذى كان يفصل بين بحيرة (المنزلة) وبحيرة (البلاح) ، والذى كان يمر به طريق القوافل الرئيسى بين فلسطين ومصر .. وهو الطريق الذى سبق أن عبره - قبل ذلك التاريخ بقرون عديدة - ابراهيم ويعقوب وأولاده . وهكذا - على الدرب الذى سلكه أولئك فى الماضى البعيد - دخلت العائلة المقدسة اقليم جوشين *Goshen* ، الذى يقع شرق دلتا النيل مباشرة ، والذى كان فرعون مصر قد وهبه ليعقوب ونسله ، فعاشوا فيه حتى خرجوا من أرض مصر .

العائلة المقدسة بالقرب من الزقازيق

● ثم دخلت العذراء ومرافقوها دلتا النيل . وكانت أول بلدة حطوا رحالهم فيها هى (تل بسطة) - أو « بوباسطس » - التى تبعد نحو كيلو مترين الى الجنوب من مدينة الزقازيق . وهناك جلسوا فى ظل شجرة كبيرة ، طلبا للراحة من وعثاء السفر ، فطلب الطفل يسوع الى مريم أن يشرب ، فحملته بين ذراعيها متجهة الى القرية .. لكن أهلها لم يحسنوا استقبالهما ، مما آلم نفس العذراء التى عادت بوليدها العزيز دون أن يشرب .. فتناول يوسف قطعة من الحديد ضرب بها الأرض الى جوار الشجرة ، وإذا بالماء يتفجر من أول ضربة ، من ينبوع عذب ، ارتووا منه جميعا وملأوا قربهم .

ونتيجة لعدم ترحيب أهل (تل بسطة) بهم ، ثم لخشيتهم أن يلحق بهم جواسيس هيرودس الذين كانوا يجدون فى أثرهم ، فقد شدوا رحالهم على الفور نحو الجنوب ، فبلغوا جهة (المحجة) ، ثم دخلوا - بعد مسيرة يوم كامل - مدينة (بلبيس) ، ومنها واصلوا السير شمالا عبر [illegible] حتى وصلوا الى (منية جناح) القريبة من (سمنود) - [illegible] يومئذ (سيبينيتوس) - وتقع على فرع دمياط من النيل . [illegible]ية شعبية متداولة فى سمنود ، ان كنيسة (أبانوب) الحالية قد [illegible] فى الموقع التى أقامت فيه العذراء منذ نحو ألفى عام .

ثم عبرت العائلة المقدسة فرع دمياط ، واتجهت غربا .. وفي الطريق، وطأ الطفل يسوع بقدمه أحد الأحجار ، فبقى طابع قدمه على الحجر ، وعرف المكان منذ ذلك التاريخ (بيخا عيسوس) ، ومعناها « كعب يسوع » . وأغلب الظن أن بيخا عيسوس هى التى تعرف الآن باسم (دير المغطس) ، بالقرب من مدينة (سخا) الحالية ، التى تقع على بعد كيلومترين الى الجنوب من (كفر الشيخ) .

.. وبعد (بيخا عيسوس) ، استأنفت العائلة المقدسة سيرها غربا ، فعبرت فرع النيل ، مواصلة رحلتها .. حتى أشرفت على صحراء (وادى النطرون) ، وكانت أقرب بلدة الى تلك الصحراء هى (الترانة) ، التى تبعد الآن نحو ٤٠ كيلو مترا عن دير القديس مكاريوس .

جواسيس هيرودس يقتفون أثرهم !

● وواصلت العذراء وصحبها رحلتهم جنوبا ، حتى وصلوا الى بلدة (أون) ، أو عين شمس ـ هليوبوليس ـ التى عرفت فى التوراة باسم (بيت شميش) Beth Shemesh .. وطوال تلك التنقلات، كان جواسيس هيرودس يقتفون أثر العائلة المقدسة فى مصر .. وكم من مرة اقتربوا منهم الى حد الخطر ، وخاصة عندما قادهم الأثر الى المسلات الكبيرة التى أقامها الفراعنة فى (عين شمس) ، حيث كانت العائلة المقدسة قد ألقت رحالها .

.. ومن هليوبوليس اتجهت العائلة الى المنطقة الشمالية الشرقية من مدينة القاهرة الحالية ، حيث تقوم الآن كنيسة السيدة العذراء ، فى (حارة زويلة) . ويلحق بالكنيسة الآن دير للراهبات تروى راهباته قصة مؤداها انه أثناء مقام العائلة المقدسة فى تلك البقعة ، بارك المسيح الطفل مياه البئر ، وشربت منها العذراء . وتقع البئر المذكورة عند

المحراب القبلى للكنيسة السفلية . ومازال ماء تلك البئر يشفى المرضي من أسقامهم .

ثم واصلت العائلة المقدسة مسيرتها جنوبا ، مارة بقلعة (بابيلون) بمصر القديمة ، فى المكان الذى تقوم عليه الآن كنيسة « أبى سرجة » . وكانت القلعة تشرف على الطريق الى الصعيد ، حيث أقامت العائلة فترة من الوقت ، قبل عودتها الى فلسطين .

وعلى ضفة النيل فى (المعادى) ، على بعد نحو اثنى عشر كيلو مترا من القاهرة ، الى الجنوب ، تقوم كنيسة السيدة العذراء بقبابها الثلاث . وقد زارت العائلة المقدسة تلك البقعة ، ومنها استقلت زورقا شراعيا الى الصعيد ، هبطت منه فى قرية (اشنين النصارى) ، على بعد ١٢ كيلومترا الى الجنوب الغربى من مدينة (مغاغة) .. وهناك تتداول رواية مؤداها أن الطفل يسوع قد بارك مياه بئر تقع على مسافة ثمانين مترا الى الشمال من كنيسة (مارجرجس) ، عندما مرت العائلة المقدسة بتلك القرية ، فى طريقها الى بيسوس (دير الجانوس) على بعد سبعة كيلو مترات الى الغرب من (أشنين) . وتقوم تلك البئر المقدسة لدير الجانوس في الطرف الغربى للرواق القبلى من كنيسة العذراء المقامة هناك .

وعلى بعد عشرة كيلومترات الى الجنوب ، على حافة الصحراء ، توجد المدينة العريقة التى تعرف اليوم باسم (البهنسا) ، وقد كانت فى الماضي تدعى (أوكسير هينكوس) ، ويعتقد فريق من المؤرخين والمعلقين أن العذراء لجأت بطفلها الى مرتفع فى تلك المنطقة ، كانت به ينابيع ماء ومراع للماشية . وربما تكون كنيسة القديسة تيودورا الموجودة اليوم فى (البهنسا) ، قد شيدت فى تلك المنطقة .

معجزة (جبل الطير)

● وبالقرب من مدينة (سينوبوليس) القديمة ـ حيث تقوم الآن قرية (القيس) *AL-Kais* ـ استقلت العائلة المقدسة زورقا

سافرت به نحو الجنوب . وبعد أن قطع الزورق مسافة خمسة وثلاثين كيلومترا ، مر ب (جبل الطير) ، الذى يقع فى مواجهة مدينة سمالوط و (بايا حو) *Bayahu* . وحين مرت العائلة المقدسة بمحاذاة ذلك الجبل ، كادت صخرة كبيرة منه أن تسقط فوق الزورق ، فبدا الخوف على العذراء ، واذ ذاك مد الطفل يسوع يده ليمنع الصخرة من السقوط، فانطبعت بصمات يده على الصخرة . وعندما غزا « ألميريك » ملك القدس (١١٦٢ - ١١٧٣) صعيد مصر ، قطع رجاله تلك القطعة من الصخرة التى انطبعت عليها بصمات المسيح ، وأخذوها معهم الى سوريا فى عام ١١٦٨ . وقد شيدت كنيسة العذراء فى (جبل الطير) تخليدا لزيارة العائلة المقدسة للمنطقة .

بين مدن : المنيا ، وملوى ، والأشمونين

● ومن (جبل الطير) أقلعت العذراء وصحبها نحو الجنوب ، مارين بميناء «خوفو» النهرى - حيث توجد مدينة (المنيا) الآن - ثم بالمعبد الصخرى للآلهة « بيخيت » (التى أطلق الاغريق عليها اسم « سبيوس ارتيميدوس ») ، وهى البقعة التى تقوم عليها الآن قرية (بنى حسن الشروق) . وأخيرا مر الركب بمعبد رمسيس الثانى - حيث تقوم الآن قرية (الشيخ عبادة) - وهو المعبد الذى بنى الامبراطور الرومانى « هادريان » على أنقاضه مدينة أنتينوبوليس ، فى سنة ١٣٠ ميلادية .

وفى مواجهة أنقاض مدينة أنتينوبوليس ، توجد الآن بلدة (الروضة) ، التى بنيت فى الموقع الذى هبطت فيه العائلة المقدسة من الزورق كى تواصل ترحالها فى اتجاه مدينة (خمونو) المشهورة - التى حلت مكانها الآن قرية (الأشمونين) - وكانت تعرف عند الاغريق باسم (هيرموبوليس ماجنا) ، ولا تزال بقايا كنيستها قائمة خارج قرية (الأشمونين) .

وعلى بعد عشرة كيلومترات الى الجنوب ، أقامت العائلة المقدسة بضعة أيام فى مدينة مانلاو (أو « ملوى » حاليا) ، حيث توجد عدة كنائس قبطية ، منها كنيستان اطلق عليهما اسم العذراء .



لوحة للفنانة «السى أنا وود» تمثل العائلة المقدسة فى مصر، على شاطىء النيل : العذراء تمسك بالمغزل ، والمسيح الطفل يتعلم حرفة النجارة على يد يوسف النجار .

وصول العائلة المقدسة الى ديروط ، وصنبو

● وبعد مسيرة يومين ، نحو الجنوب ، وصلت العائلة المقدسة الى مدينة (فيلس) ـ أو (ديروط الشريف) حاليا ـ فأكرم أهل المدينة وفادتهم ، حتى لقد أطالوا المقام فيها بضعة أيام . ومن هناك واصلت العائلة سفرها الى بلدة (صنبو) ، مارة ببلدة (ببلاو) الحالية ، وكانت تعرف يومئذ باسم ببلو . Pepleu

.. ثم دخلت العائلة المقدسة مدينة (قوصيا أو قسقام) ـ حيث قرية (.....) الآن ـ وبعد أن لعن المسيح تلك المدينة وأهلها ، ارتحلت العذراء وصحبها نحو الجنوب مسافة ستة كيلومترات ، واستراحوا بعض الوقت فى موضع قرية (مير) الحالية ، من فرط ماكانوا منهكى القوى من التعب والاعياء .

يقيمون ستة أشهر فى موضع (الدير المحرق)

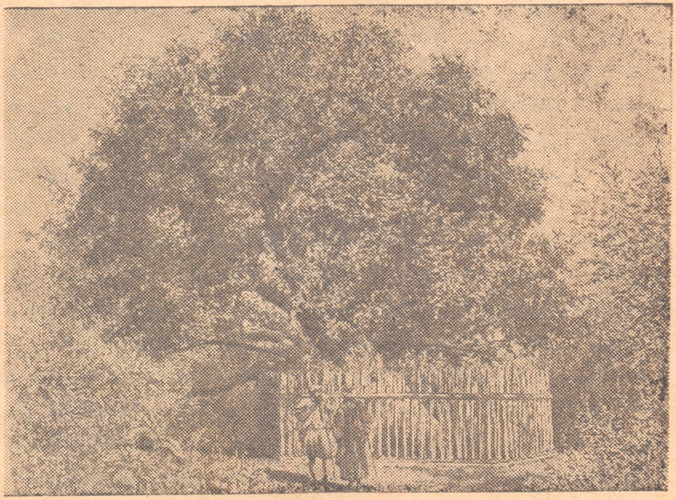
● وعلى بعد ثمانية كيلومترات الى الجنوب من (مير) ، اكتشفت العائلة المقدسة بئرا يستقون منه الماء ، فأقاموا فى احد منازل القرية مدة ستة أشهر . وقد بورك ذلك الموضع المقدس بسبب مقام العائلة المقدسة فيه ، وكرس باسم السيدة العذراء ، ويعرف الآن باسم (الدير المحرق) . وقد كانت كنيسة العذراء فى الدير المحرق أول كنيسة شيدت فى مصر كلها .

وقد كانت أبعد نقطة بلغتها العائلة المقدسة ، جنوبا ، فى ترحالها فى صعيد مصر ، على بعد عشرة كيلومترات الى الجنوب الغربى من مدينة أسيوط الحالية ـ أو (ليكوبوليس) القديمة ـ في موضع (أسطبل عنتر) بالقرب من سفح الجبل الذى يحف بمدينة أسيوط من ناحية الغرب . وقد أقامت العائلة المقدسة هناك فى كهوف المقابر الصخرية الفسيحة التى ترجع الى الحقبة الممتدة من عهد الاسرة التاسعة الى الاسرة الثانية عشرة. وتقوم كنيسة السيدة العذراء فى (دير العدرا) الآن ، الى الشرق من الكهف الذى عاشت فيه العائلة المقدسة . وبعد أن أقامت العائلة هناك فترة من الوقت ، عادت من أسيوط الى موضع الدير المحرق الحالى .

فى مصر عتيقة ، وهليوبوليس ، والمطرية

● وخلال رحلة العودة ، أقامت العائلة المقدسة فى كهف يقع فى أسفل كنيسة القديسة سرجيوس ، فى (مصر عتيقة) ـ أو بابيلون القديمة ـ وقد كان ذلك الكهف من المزارات التى تضمنتها برامج سياحة حجاج القرون الوسطى الى البلاد المقدسة .

.. ثم واصلت العائلة المقدسة ترحالها من (بابيلون) ، نحو الشمال، فتوقفت مرة أخرى فى (أون) ـ هليوبوليس الآن ـ بالقرب من موضع ضاحية المطرية الحالية . وهناك أدلوا بالمسيح الى بئر ، ليستحم فى مياهه ، فبورك البئر منذ ذلك التاريخ .. ثم استراحت العائلة المقدسة فى ظل شجرة جميز عتيقة لاتزال قائمة فى حديقة صغيرة يحيط بها جدار ، بجوار الكنيسة الكاثوليكية المعروفة باسم (كنيسة العائلة المقدسة) فى المطرية .



شجرة العذراء فى المطرية : رسم للفنان الالمانى «ب . ستراسبرجر»

وكان الموضع التالى الذى زارته العائلة المقدسة خلال رحلة عودتها الى فلسطين ، هو منطقة (المحمة) ، أى مكان الاستحمام . وفى كنيسة السيدة العذراء فى (مسطرد) - التى تبعد نحو ثلاثة كيلومترات الى الغرب من المطرية ، على الضفة الغربية لترعة الاسماعيلية - توجد بئر باركتها العائلة المقدسة ، تقع فى الركن الشمالى الشرقى من الكنيسة ، شرقى المغارة التى أوت اليها العائلة المقدسة .

وبعد (المحمة) ، كانت « المحطة » التالية التى توقف فيها ركب العذراء ، هى (ليونتوبوليس) ، التى تعرف اليوم بأطلال (تل اليهودية) وقد أشارت اليها الخرائط الرومانية القديمة باسم *Vicus Judaeorum*

العودة الى فلسطين ، بعد وفاة هيرودس

● وبعد أن قضت العائلة المقدسة فى ربوع مصر نحو عامين ، عادت الى فلسطين ، عبر نفس الطريق الذى جاءت منه الى مصر ، مارة ببلبيس، وعابرة الممر الضيق عند القنطرة ، ثم سالكة بعد ذلك طريق القوافل المألوف من مصر الى فلسطين ، بمحاذاة شاطىء البحر الابيض المتوسط .

وطبقا للاقوال المتواترة فى المنطقة ، والتى تنوقلت من جيل الى جيل، فقد استراحت العائلة المقدسة عدة أيام بالقرب من (غزة) ، فى حديقة تقع بين (جبل منطار) وبين غزة .

وكان الدافع للعائلة المقدسة الى العودة الى فلسطين ، أنه لما مات الملك الطاغية هيرودس - الذى قتل كل أطفال بيت لحم كى يتخلص من وهم منافسة المسيح له فى عرشه ! - ظهر ملاك الرب ليوسف فى الحلم ، طالبا اليه أن يأخذ الصبى وأمه ويعود الى موطنهم ، « لانه قد مات الذين كانوا يطلبون حياة الصبى » .. فقام يوسف وأخذ الصبى وأمه وعادوا الى فلسطين . وعند دخولهم حدودها ، سمع يوسف أن « أرخيلاوس » قد تولى الملك عوضا عن هيرودس أبيه ، فخاف أن يذهب الى هناك .. الى أن أوحى له فى حلم ، فانصرف الى نواحى (الجليل) ، وأتى وسكن فى مدينة يقال لها « ناصرة » ، لكى يتم ماقيل بالانبياء أن المسيح سيدعى ناصريا .

العذراء ترعى ابنها

● على أثر عودة العائلة المقدسة الى وطنها ، واستقرارها فى (الناصرة) ، تولت مريم وعائلها يوسف النجار رعاية الطفل يسوع والسهر على تربيته والعناية به . وكان يوسف يعمل طول اليوم فى حانوت النجارة الخاص به ، ويعلم الطفل مهنته ، بينما كانت مريم تعلم ابنها الصلاة والتعبد ، وتلقنه ماحفظت من صلوات .

وحين بلغ الابن عامه الثانى عشر ، حث يوسف مريم على الذهاب به الى مدينة القدس ليزور الهيكل ويمجد الله . ثم عادت الاسرة الى الناصرة ، حيث عاش يسوع فى كنف مريم ويوسف حتى صار رجلا ، وعرف بلقب «نجار الناصرة» . وكان يعمل فى حانوت النجارة مع يوسف ويرعى أمه المباركة مريم ، حتى مرض يوسف ذات يوم واشتد به المرض ، فوافاه أجله ذات ليلة والى جواره مريم ويسوع . (وتحتفل الكنيسة بعيد «القديس يوسف» فى ١٩ مارس من كل عام) .

وبقيت مريم وحدها تعنى بوحيدها ، وترمقه بعينيها وقلبها فى كل خطوة من خطوات حياته .. حتى بلغ الثلاثين ، فمضى الى قريبه يوحنا المعمدان (ابن زكريا واليصابات ، الذى رزقا به قبيل مولد المسيح بأسابيع) ، وطلب اليه أن يعمده فى نهر الاردن .. ثم صام فى البرية أربعين يوما ، وبدأ يمارس رسالته الدينية ..

وخلال الاعوام الثلاثة التى اضطلع السيد المسيح خلالها برسالته ، افترق عن أمه مريم وانهمك فى نشر تعاليمه ، والقيام بمعجزاته ، برفقة حوارييه وتلاميذه .. فلم يتحدث الانجيل عن مريم ابان ذلك الا لماما . من ذلك مرافقتها اياه الى حفل عرس دعيا اليه فى بلدة (قانا الجليل) ، وهناك نفدت الخمر أثناء الحفل - وكانت من مستلزمات العرس - فصنع المسيح معجزة تحويل الماء الى خمر ..

وبقيت العذراء فى الظل ، ترعى ابنها من بعيد وهو يحمل أعباء رسالته ، وتشاركه متاعبه وآلامه ، بعواطف الام الحنون . وحين مضى الى أورشليم لآخر مرة ، وهو يعلم أن اليهود سيقتلونه ، تبعته وقاست معه

آلام المحاكمة الظالمة والتعذيب المروع . وأخيرا رافقته الى «الجلجثة» حيث رأته يلفظ أنفاسه وقلبها يدمى ، ولكن فى صبر وايمان وشجاعة ، تليق بأم المسيح .. ثم بقيت بعد ذلك فى أورشليم مع الرسل حتى قيامة السيد المسيح وصعوده الى السماء .. وتوفر «يوحنا الانجيلى» على العناية بمريم ومواساتها فى رفق وحنان ، مع أمه «سالومة» وأخيه يعقوب ، يغمرهم مزيج من الفرح والغبطة والحب المقدس لتلك التى تطوبها جميع الاجيال .

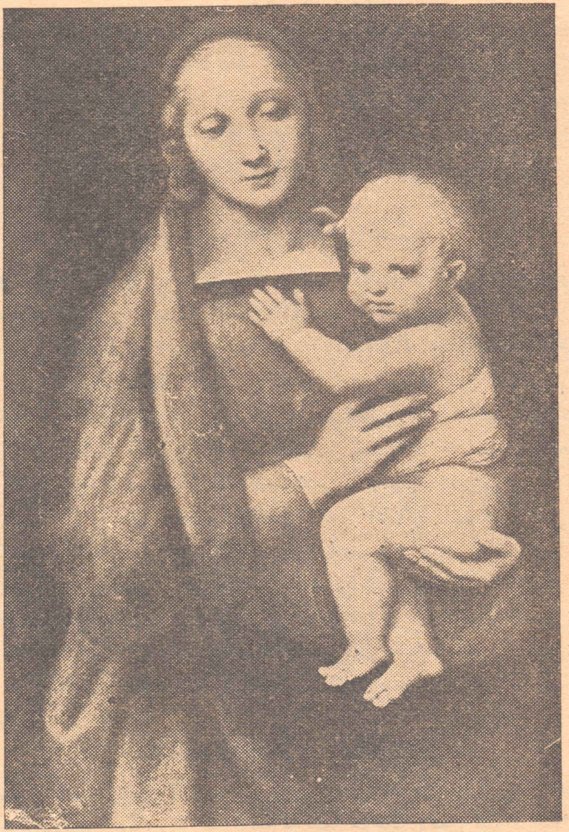
حياة مريم بعد رحيل المسيح

● ويحدثنا مؤرخو الكنيسة عن نوع الحياة التى كانت تحياها العذراء بعد رحيل وحيدها السيد المسيح ، فيقولون انها كانت تقضى معظم النهار ساجدة فى الهيكل المقدس ، وسواد الليل متعبدة فى البيت ، تناجى ربها ليخفف عنها آلامها ، ويقصر أيام عذابها على الارض . ومع ذلك فانها لم تخذل الرسل أو تبخل عليهم بمشورة ، فكانوا كلما تعقدت الامور ، أو وقفوا حائرين أمام مشكلة من مشكلات خدمتهم الروحية ، هرعوا اليها فوجدوا عندها حلا لمشكلاتهم ، ونهاية لحيرتهم .

وكانت مريم بين الحين والحين تزور الأماكن المختلفة التى تردد عليها ابنها فى حياته ، فهى تارة فى بيت لحم ، وأخرى فى الناصرة ، ثم تصعد الى الجبل حيث ألقى موعظته المشهورة ، وتهبط الى شاطىء البحر حيث مارس تعاليمه ومعجزاته .. أو تتطلع بحزن الى دار بيلاطس ، حيث جلد وكلل بالشوك .. ومن فرط آلامها لم تطل حياتها على الارض ، ففى ساعة من ساعات تعبدها ، جاءها الملاك يحمل اليها البشرى بقرب انطلاقها ..

ساعاتها الأخيرة .. وانطلاقها

● وأبلغت الخبر الأليم الى من بقى من الرسل على قيد الحياة ، فاجتمعوا حولها ، وقد رأوا فى قرب فراقها حرمانا لاقبل لهم باحتماله .. ويقرر القديس «ايرينموس» انه لما دنت الساعة ، وكانت مريم مضطجعة على فراشها ، سمع التلاميذ أصوات ألحان علوية ، وأشرقت فى البيت



العذراء تحمل المسيح الطفل . لوحة من روائع الفنان الايطالى الاشهر «رافاييل» (١٤٨٣ - ١٥٢٠)

أنوار سماوية ، ورأت العذراء ابنها المبارك قد حضر اليها ، تحف به الملائكة ، فانهمرت دموع الحاضرين ، من التلاميذ وعذارى جبل الزيتون، وجالت هى بنظرها بينهم ، كأنما تودعهم .. ثم أسلمت روحها الطاهرة - بعد نحو خمس عشرة سنة من صعود ابنها السيد المسيح - وكان ذلك فى الساعة الثالثة من يوم الاحد الحادى والعشرين من شهر طوبة ..وحمل الرسل مجتمعين جسدها الطاهر ، ودفنوه بوادى «يوشافاط» فى (الجسمانية) .

العذراء ملهمة الفنانين

● كانت العذراء مريم ، فى كل العصور ، ملهمة للفنانين ، الذين رسموها ، اما بمفردها ، أو حاملة «الطفل يسوع» على ذراعها اليسرى..

وأول من رسم صورة للسيدة العذراء هو «لوقا» البشير ، الذى كان طبيبا ورساما ، والذى رآها وعاصرها ، عدة سنوات ، وقد حفر صورة لها على الخشب ، ثم كرس جزءا كبيرا من وقته لرسم صور عديدة لها . وقد تنقلت لوحته الخشبية المحفورة بين أيدى أباطرة (بيزنطة) ، حتى وصلت الى يد الامبراطورة «بولخاريا» ثم فقدت . أما بقية الصور فمازالت باقية فى بعض كنائس العالم ، ومنها صورة محفوظة فى كنيسة العزباوية بالقاهرة ، وأخرى فى دير السريان بوادى النطرون .

وعلى منوال مارسمه لها معاصرها «لوقا» ، نسج فنانو بيزنطة ، الذين صوروا العذراء بمفردها . ثم جاء فنانو ايطاليا فى القرن ١٣ ، فرسموها حاملة الطفل يسوع ، وجعلوا قسماتها طبيعية المسحة والسمات، فائقة الجمال والطهر . وخصص الفنان الخالد «رفاييل» فنه ونبوغه لرسم صورها .. كما تبارى النحاتون فى صنع التماثيل لها ، ابتداء من «مايكل انجلو» ، الى «هنرى مور» .. والى جانب اللوحات الزيتية والتماثيل ، رسمت صورها على الايقونات ، وجدران الكنائس ، واللوحات الخشبية ، والفريسكو ، والموزايكو ، والزجاج المعشق .. الخ .. وحرصت الكنيسة القبطية على وضع صورتها فى مكان خاص من حجاب الهيكل ، الى جوار صورة السيد المسيح .

معجزات العذراء

● تضمنت كتب الكنيسة القبطية التى كتبها الآباء الاولون ، والمخطوطات والاسفار القديمة المحفوظة بمكتبات الاديرة والمتاحف ، ثم الموسوعات العالمية ، الكثير من أنباء معجزات السيدة العذراء ، سواء منها ماتحقق أثناء حياتها ، أو ماتحقق على مر العصور فى مناسبات ظهورها ، مما يطول شرحه أو مجرد سرده .. أما معجزاتها الحديثة فأشهرها : ظهورها للقروية الفرنسية «برناديت» فى بلدة (لورد) بفرنسا .. ثم ظهورها لثلاثة من الرعاة فى قرية (فاتيما) بالبرتغال .. وأخيرا ظهورها العلنى المتكرر للجماهير الغفيرة فى وقت واحد – لأول مرة – فى الزيتون بالقاهرة .

أعياد السيدة العذراء

● أما الاعياد الخاصة بالعذراء ، والتى يحتفل بها المسيحيون فى مصر كل عام ، فهى :

١ – البشارة بمولدها : فى يوم ٧ مسرى .
٢ – مولدها : فى أول شهر بشنس .
٣ – تقديمها الى الهيكل على يد أبويها ، حين بلغت الثالثة من عمرها : فى يوم ٣ كيهك .
٤ – دخولها مع السيد المسيح ويوسف الى مصر يوم ٢٤ بشنس .
٥ – وفاتها (أو نياحتها) : فى ٢١ طوبة .
٦ – صعود جسدها فى ١٦ مسرى .
٧ – انقاذها للقديس متياس من السجن ، وبناء أول كنيسة على اسمها بمدينة فيلبى باليونان : فى يوم ٢١ بؤونة .

وقد رتبت الكنيسة القبطية صوما خاصا أطلقت عليه «صوم السيدة العذراء» ومدته خمسة عشر يوما ، تبدأ فى أول مسرى (٧ أغسطس) وتنتهى فى ١٦ مسرى (٢٢ أغسطس) ، حيث تحتفل الكنيسة بعيد صعود جسدها الطاهر الى السماء .

مريم فى القرآن الكريم

● وان أحسن ما يختتم به الحديث عن حياة مريم العذراء ، أن نورد بعض ما جاء عنها فى القرآن الكريم ، الذى مجدها ورفعها الى مكانة فوق نساء العالمين ، وأورد اسمها فى ٣٤ آية من آياته ..

.. بل وليس فى القرآن الكريم كله سورة تحمل اسم سيدة من نساء الدنيا غير سورة « مريم » .. كما زاد القرآن فى تكريمها ، فأطلق اسم أهلها على سورة أخرى من سوره ، هى سورة « آل عمران » ..

وتلك علامة على المكانة الكبرى التى اختصها بها القرآن ، والتى تنعكس على قلوب المسلمين جميعا فى حبهم وتقديسهم لها ..

وفيما يلى بعض ما أورده القرآن الكريم من آيات ، تصور ـ ببلاغتها واعجازها ـ لمحات من حياة مريم العذراء .

من سورة « آل عمران » :

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ
وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً
بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ
رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا
مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾
فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا
زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ
هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۖ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ
بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

. . . .

وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ
اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ
اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ
الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ

يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ
الْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ
عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾
وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ
أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ
إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ
وَالتَّوْرَىٰةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم
بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّيٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْـَٔةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ
فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَىٰ
بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ
التَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ
مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾

ويقول تعالى فى سورة « مريم » :

وَاذْكُرْ فِي الْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا
شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا
فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ
تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾
قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ
قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ
أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا
الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا
مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾
وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي
وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ
لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ
قَالُوا يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ
أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا
كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ
الْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ
وَأَوْصَٰنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي
جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ
أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

موت قومسيونجي



عرض وتلخيص : الدكتور لويس عوض

هذه المسرحية ..

من المفارقات الغريبة أن اسم الكاتب الأمريكى « آرثر ميللر » لم يلمع بالقدر الذى يستحقه الا بعد زواجه من الممثلة الجميلة « مارلين مونرو » ، حتى لقد وصلت شهرته الى رجل الشارع الذى لا يحفل كثيرا بالأدب .

ولكن آرثر ميللر لم يكن نكرة قبل هذا الزواج ، بل كان علما من أعلام الادب الأمريكى المعاصر ، وكان مكانه فى المقدمة بين كتاب المسرح . واهم عمل من اعماله هو هذه المأساة « موت قومسيونجى » التى ظهرت سنة ١٩٤٩ ، ونالت جائزة (بوليتزر) المشهورة فى أمريكا وجائزة حلقة النقاد ، وأخذت مكانها فى المسرح العالمى ، حتى التفتت اليها السينما فأخرجها « ستانلى كرامر » للشاشة البيضاء .

وأهمية هذه المأساة فى أنها صورة من صور عصرنا ، صورة قاسية بشعة لما انتهى اليه الانسان فى هذه الحضارة الصناعية التجارية التى تطحن الانسانية طحنا ، وهى صورة أمينة لأنها تصور الضعف الفردى وسط مجتمع فيه من وحوش الغاب شىء كثير . وبطل هذه المأساة ليس أميرا ، ولا ملكا ، ولا عبقريا ، ولكنه واحد من بسطاء الناس ، يعيش فى دنياه البسيطة ، ويزاول عمله البسيط ، ويحلم أحلامه البسيطة ، ولكن الحياة لا ترحمه لأنه لا مكان فيها للبسطاء . هذا هو « وليم لومان » القومسيونجى الذى أفنى عمره — أفنى خمسا وثلاثين سنة بالضبط — فى خدمة شركة من الشركات يعيش على ما يتقاضاه من مرتب صغير وعمولة صغيرة عن كل سلعة يبيعها .



آرثر ميللر

خمسا وثلاثين سنة قضاها « ويلى لومان » يسوق سيارته « الشفروليه » ثم سيارته « الستوديبيكر » آلاف الأميال كل أسبوع ،مسافرا بحقيبتيه المليئتين بالعينات ، من نيويورك حيث يقيم مع اسرته - زوجته « ليندا » ، وولده الاصغر « هارولد » ، أو هابى كما يسمونه - الى (بوسطون) فى الشمال والى (نيوهامبشير) و (مين) . والآن وقد أرهقه العمل ، وبلغ سن الشيخوخة وتجاوز الستين ، فلم يعد قادرا على سحر الزبائن - كما كان يفعل فى شبابه - يجيئه من مدير الشركة خطاب يقول ان الشركة لن تدفع له مرتبا شهريا ، وانه لن يحصل منها الا على العمولة عما يبيع من بضاعتها !

ولكن شيخوخة « ويلى لومان » لم يحطمها هذا الخطاب وحده ، وانما حطمتها أيضا كل احلامه الضائعة ، وأخص هذه الاحلام حلمه الكبير ، أكبر حلم فى حياته ، وهو ولده الأكبر « بيف » ، الذى كان يرجو له النجاح فى الحياة فلم يخرج منه الا شاب « هايف » ، « هلفوت » ، بلغ الخامسة والثلاثين من عمره يتقلب من عمل الى آخر دون أن يستقر فى الحياة على شىء ، بعد أن كان بيف زينة الفتيان أيام الدراسة الثانوية ، وأبرعهم فى كرة القدم ، وكان كل الناس يشيرون

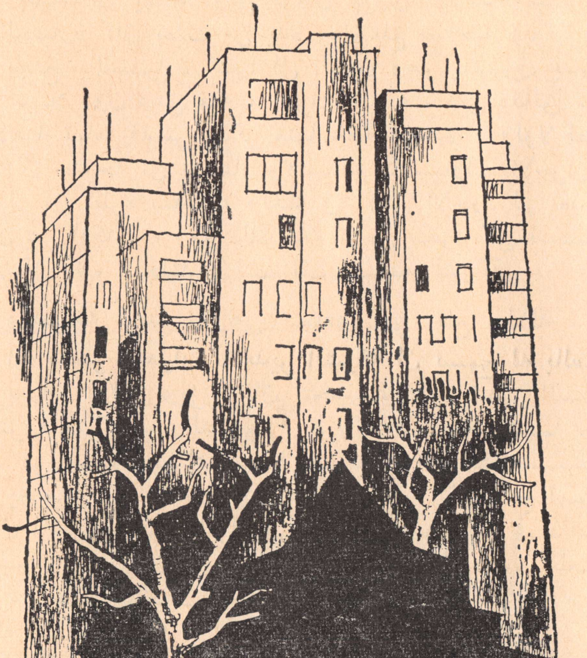
اليه بالبنان حتى انه فى سنة البكالوريا تلقى جملة عروض بمنح دراسية من جامعات مختلفة، واختار منها جامعة (فرجينيا) ... ولكن بيف رسب فى البكالوريا . وكان من الممكن أن ينهض من عثرته لولا أن حادثا مؤسفا حدث له فغير مجرى حياته كلها !

- ١ -

نحن الآن فى بيت « ويلى لومان » بضاحية (بروكلين) فى نيويورك . وهو بيت صغير تحيط به تلك العمارات الشاهقة البشعة من كل مكان ، بناه ويلى لومان بالتقسيط منذ ثلاثين سنة ، ولم يبق من ثمنه الا القسط الأخير . وحين بناه ويلى لومان لم تكن العمارات الشاهقة قد أحاطت به بعد ، ولكم كان يحلم بأن تكون له حديقة كبيرة حول المنزل يزرع فيها الخضر ، ولكن العمارات العالية من حوله لم تترك له الا فناء خلفيا مساحته ثلاثة أمتار فى ثلاثة أمتار !

وفى فراشها تجلس زوجته « ليندا » ، وهى امرأة فى سن الثالثة والخمسين من عمرها ، شاب شعرها ، وقد أيقظتها حركة سمعتها ، وتعلم أن زوجها عاد من رحلته ، فتلبس « الروب » منادية : « اهذا أنت يا ويلى ؟ » ، فيجيبها «لومان» بالايجاب .

ولايلبث ويلى لومان أن يدخل ويخلع جاكتته وكرافتته، فتساعده «ليندا» على ذلك بصورة آلية ، وهى تنظر اليه نظرة فيها استفهام كثير وقلق كثير ، فهو قد عاد من طوافه قبل الأوان !.. وتسأله ليندا ان كان قد حدث شىء أو كانت سيارته قد انكسرت ، فيجيبها فى غلظة أنه لم يحدث شىء البتة . كل ما حدث أنه عجز عن المضى فى سواقة سيارته الى آخر الطريق فعاد ادراجه .



« .. وهو بيت صغير تحيط به تلك العمارات الشاهقة
البشعة من كل مكان .. »

وبعد أن يهدأ ويلى لومان يروى لزوجته كيف أن زمام السيارة كان يفلت من يده حين بلغ ضاحية (يونكرز)، فكان يجنح بالسيارة كثيرا الى اليمين وهو يسوق بسرعة ستين ميلا دون وعى منه ، ومرت عليه خمس دقائق شرد فيها ذهنه تماما فليس يذكر منها لحظة واحدة . ولولا لطف الله لكان جنوحه الى اليسار ولاصطدم بالسيارات الأخرى . انه يعلم أن نظره سليم ، ولكنه فى الأيام الأخيرة لم يعد له سلطان على أفكاره ، ومع ذلك فلا بد من سفره كل أسبوع الى ولاية (نيو انجلند) لتصريف بضاعة الشركة .

وتنصحه ليندا ، وهى تساعده على خلع حذائه ، أن يطلب الى مستر « هوارد » مدير الشركة أن يسمح له بالعمل فى نيويورك ، ولكن ويلى لومان يتحسر على أيام المدير السابق « مستر فاجنر » ـ والد هوارد ـ لأنه كان رجلا شهما يفهم متاعب مرؤوسيه ويساعدهم ما استطاع الى ذلك سبيلا ، وكان يختصه هو بالذات بكل عطف ، فهو الذى فتح أسواق الشمال للشركة بكده المتواصل . وتلح عليه ليندا فى ذلك ، فيتشجع ويلى لومان ويعدها بشرح حالته لهوارد ، لعله يعفيه من هذه الرحلات المضنية ويعينه فى وظيفة فى مركز الشركة بنيويورك .

ويتجادل ويلى لومان وليندا فى أمر ولدهما الأكبر «بيف» الذى عاد اليهما أخيرا . . فقد تشاجر لومان وبيف قبل سفر لومان ، وكان سبب الشجار أنه سأل ابنه ان كان يكسب رزقه . انه محتار فى أمر «بيف» ، الذى ترك البيت منذ أكثر من عشر سنوات ، وهو لا يكسب الآن الا خمسة وثلاثين دولارا أسبوعيا ، وينتقل من عمل الى عمل ومن ولاية الى ولاية دون أن يستقر على شىء . ان من كان فى سنه وجب

أن يكون ربا لأسرة . ولكن عيب بيف أنه رجل كسول «هايف» لا يحب العمل ، والا لشق طريقه فى الحياة . وهذا آخر عمل كان به : عامل زراعى فى (تكساس) ، وهو قد تركه !

وتدافع ليندا عن ولدها بيف قائلة انه ليس كسولا ، وانما هو يبحث عن موهبته الحقيقية . فيوافقها ويلى لومان على ذلك وهو يعجب كيف يضيع شاب مثله ذكى ، قادر ، جذاب الشخصية ، صبور على العمل ، فى أمريكا بلد الفرص والآفاق الواسعة ! .. كلا . ان بيف ليس «هلفوتا» ولا كسولا فهذه آخر صفاته . انه يذكر كيف كان « بيف » فى المدرسة الثانوية فخر لاعبى الكرة وموضع اعجاب الجميع . انه يعرف أن المخترع « اديسون » و « جودريتش » صاحب اطارات جودريتش وغيرهما لم تتفتح مواهبهم الا فى سن متأخرة . وهو يراهن أن ولده بيف سينجح آخر الأمر .. ويتوه لومان فى الذكريات .

- ٢ -

ويستيقظ الابنان « بيف » و « هابى » على صوت أبيهما . ويبدى « هابى » انزعاجه على ما آلت اليه حال أبيه، فهو كلما خرج بسيارته ـ فى الأيام الأخيرة ـ يرتكب مخالفات المرور ، فهو يقف عند النور الأخضر وينطلق عند النور الأحمر ، وهو قد كثرت حوادثه . ويرجو هابى أخاه الأكبر بيف أن يصفو لأبيه ، وأن ينسى ما كان بينهما من شجار حاد فى الصباح قبل خروجه الى العمل . ان شيئا ما يعترى أباهما ، فهو يحدث نفسه ، وهو كثير الذهول . بل هو كلما كلم نفسه بدا وكأنه يكلم بيف بكلام غير مفهوم . فلاشك أن قلقه على مستقبل بيف وراء هذه الأزمة التى يمر بها .

ويجيب « بيف » فى غموض أنه ليس وحده المسئول عن انقباض أبيه ، فهو يعلم أن فى عقل أبيه شيئا آخر يجثم على صدره ، ويملؤه بهذه الخواطر السوداء · أما هو فلا يعرف لنفسه هدفا فى الحياة · انه جرب العمل فى المدن فضاق به وطلب الخلاء ، وجرب العمل فى الحقول فضاق به وطلب المدن ، انه اشتغل كاتب شحن وقومسيونجيا وتاجرا وراعى خيل ، وكان فى كل مرة يحن الى ما ليس له · انه أضاع حياته · وهو ليس بشاعر ـ كما يقول أخوه هابى ـ بل رجل مبلبل ! ولعل الزواج يعلمه الاستقرار ، فيصبح مثل هابى سعيدا ناجحا ·

ولكن هابى يقول انه أبعد ما يكون عن السعادة · انه حقا مستقر لا بأس بدخله ، يقيم بالقرب من والديه ويملك سيارة · ولكن أى أمل له فى الحياة ؟ انه مساعد مدير قسم البضائع ، ولم يبق له الا أن ينتظر موت المدير ليرقى الى وظيفته ! وهبه أصبح مدير قسم البضائع ، فماذا بعد ذلك ؟ ان عنده كل ما يريده : شقته وسيارته وعدد لا يحصى من البنات · ومع ذلك فهو يحس بالوحدة القاتلة · ان موظفى المحل يفسحون الطريق للمدير حين يمر ، وهو لا يفضله فى شىء · والسبب بسيط : انه قوى بماله ، وآل لومان لا يعرفون كيف يجمعون المال ! انه يحلم ـ مثل بيف ـ أن يكون له فى يوم من الأيام مزرعة · نعم · مزرعة جميلة يملكها الأخوان لومان معا · هذه فكرة بارعة · ولكن اذا كان هابى لا يعرف كيف يجمع المال ، فهو يعرف كيف يغازل النساء ، منذ أن علمه أخوه بيف كيف يغازل النساء · وهو متخصص فى اغواء نساء رؤسائه ، ولا شك أن روح المنافسة قد اتخذت هذه الصورة عنده ·

ويشجع بيف أخاه هابى على التفكير فى شراء المزرعة · انه يعرف مصدرا يقترض منه عشرة آلاف دولار لهذا الغرض · انه كان يعمل فى متجر « بيل اوليفر » منذ عشر سنوات ، وكان « بيل اوليفر » صاحب المتجر يحبه حبا عظيما ويقدر كفاءته · ويوم خرج من خدمته أحاط بيل كتفيه بذراعه وقال: « ان احتجت لأى شىء يا بيف فتعال الى » ·· انه سيذهب الى « بيل اوليفر » ويطلب اليـه اقراضـه هذا المبلغ لشراء المزرعـة · ولكن « بيل أوليفر » كان يعتقـد أن بيف سرق صندوقا من كرات (الباسكت بول) من متجره · ولعله الآن قد نسى الموضوع كله بعد فوات عشر سنوات · ولكن « بيل أوليفر » لم يطرده من عمله · وبيف لومان لا يعرف ما خطبه· فى كل مرة ترك فيها عمله كان يخرج بعد أن يسرق شيئا ، شيئا عديم القيمة ، شيئا لا يستحق السرقة ، وكان أحيانا يضبط ويطرد ، واحيانا يختفى من تلقاء نفسه !

كل هذا والأب ويلى لومان مسترسل فى هذيانه · انه لا يتوه فى الذكريات كما يفعل غـيره ، بل يستحضر الماضى البعيد ، ويعيش فيه كأنه يحياه فعلا كلما حلت به نوبة من هذه النوبات ، فاذا به يرى النـاس والأشياء رؤية العين ، ويحدثهم ويسمع كلامهم كأنهم ماثلون أمامه فعلا :

.. ..

هاهما بيف وهابى يدخلان عليه وهما فى سن الدراسة الثـانوية ، ويملأ ويلى لومان عينيه اعجابا بولده بيف الذى سيبرز في مباراة الكرة السنوية . وويلى لومان يداعب الفتى بيف قائلا انه لا ينبغى له أن يأخذ البنات مأخذ الجد ، فهو مازال صغيرا ، وعلى كل حال لاينبغى أن يعد احداهن بشيء لان البنات يصدقن وعود الشبان . ان البنات يلتففن حول بيف الوسيم ويشترين له الحلاوى والشوكولاته. فليلعب بيف ماحب أن يلعب ، ولكن حذار أن يعد بنتا بشيء ؟ ! ان المستقبل أمامه عظيم ،

والجامعات ستتخاطفه حين يحصل على البكالوريا . وويلى لومان نفسه أصبح رجلا صاحب نفوذ ، فهو يستطيع أن يقابل عمدة (بوسطون) ووجهاء القوم ، وهم يحبونه . ماأكثر أصدقاءه ! ماأكثر أصدقاء القومسيونجى ! وبفضل أصدقائه ومحبيه سيساعد ويلى لومان ولديه على شق طريقهما فى الحياة على أحسن وجه ! ويدخل الفتى «برنارد» ابن جاره تشارلى ، وهو زميل بيف فى المدرسة ، ويطلب من بيف أن يكف عن التدريب على الكرة ، وأن يمضي معه لمذاكرة الدروس ، فالامتحان قريب . ثم ان مستر «بير نياوم» مدرس الرياضة يقول ان بيف سيرسب فى الرياضة اذا لم يذاكر المقرر ، وهو لن يعطيه نمرة واحدة فوق مايستحق .. وهذا انذار أخير . واذا لم يحصل بيف على البكالوريا فلن تقبله جامعة فرجينيا ، وان كانت قد عرضت عليه منحة دراسية لتفوقه في كرة القدم، ثم ينصرف برنارد قائلا انه سينتظر بيف فى غرفته للمذاكرة .

ويدافع ويلى لومان عن ولده بيف قائلا ان برنارد فتى هزيل الجسم يلبس نظارات ، امارات « الانيميا » بادية عليه.وهو لهذا يغار من بيف وتفوقه فى كرة القدم !.. ولكن برنارد مخطىء ، فالدروس ليست كل شيء ، واهم من الدروس أن يكون الفتى صاحب شخصية قوية جذابة ، ومظهر جميل ، وموضعا لحب الناس . وسيرى برنارد وكل الفتيان الذين يكدون أبصارهم وأجسامهم بالدراسة أن بيف سيسبقهم في معترك الحياة !

وتتمثل له ليندا - وهى بعد فى شبابها الناضج - تحمل سبت الغسيل ، فيأخذ بيف وهابى منها السبت ويخرجان بالغسيل لنشره . وتجلس ليندا ليحدثها «ويلى» عن ثمرة رحلته الى (بوسطون) فى ذلك الاسبوع . فيقول متفاخرا انه باع نحو خمسمائة «فاروسة»فى(بروفيدانس) وسبعمائة فى (بوسطون) . وتبتهج ليندا وتحسب عمولته بالقلم والورقة فتجد أنه كسب فى أسبوع واحد مائتى دولار .. ولكن ويلى لومان لايلبث ان يتواضع فى الرقم فيقول انه لم يبع فى الرحلة كلها الا مائتى فاروسة، فربحه منها نحو سبعين دولارا فقط .

ويوزع الزوج ربح الاسـبوع على الديون . فقسط الثلاجة الكهربائية ١٦ دولارا ، وقسط الغسالة الكهربائية ١٠ دولارات ، وقسط المكنسة الكهربائية ٤ دولارات ، واصلاح السيارة ٤ دولارات . المهم أن مجموع الديون المستحقة بعد ٤ أيام يبلغ ١٢٠ دولارا .

ويغتم ويلى لومان لقلة مكسبه ، رغم انه يعمل اثنتى عشرة ساعة يوميا ، ولكن زوجته تعزيه باسمة وهى تقول : «ان الاسبوع المقبل سيكون أحسن من هذا الاسبوع» . وتجلس ليندا وتخرج من مريلتها جوربها وتبدأ فى رتقه ، ويعود ويلى الى شكواه . ان الناس لايلتفتون اليه . انه يعلم السبب . انه ثرثار مهذار . وجاره تشارلى رجل ناجح لانه قليل الكلام فالناس تحترمه . أنه يعرف السبب . ان ملبسه خال من الاناقة . وتهدئه ليندا قائلة فى حب عميق انه أعظم الرجال أناقة فى نظرها .

وكأنما فتحت هذه العبارة طاقة في عقل ويلى لومان . فاذا بليندا الجالسة أمامه تختفى في ظلام غريب ، واذا به يسمع ضحكات امرأة ، ولكنه يستمر فى مخاطبة ليندا قائلا انه يغبنها كثيرا ، ولكنه يتمنى أن يعوضها عن هذا الغبن ... وهذا هو يسمع ضحكات المرأة الممتلئة ، ويسمعها تقول له ـ وهى تتطلع الى وجهها فى المرآة ـ ان الساعة قد تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل ، ولابد له من الانصراف ، وموعدهما اذن بعد اسبوعين عند عودته الى (بوسطون) . وهى تشكره على الجوارب الحريرية التى أهداها اليها . انها تتمتع معه بأطيب الاوقات فهو رجل مهذار مسل ،



وهى تحب الضحك . ثم تنصرف المرأة ، وتمثل أمامه زوجته ليندا من جديد — وهى ترتق جوربها الحريرى — وتقول انه أعظم الرجال أناقة في نظرها . وتضيف فى رفق أنه لم يغبنها قط .

ويتنبه ويلى لومان في أحلامه الى أن ليندا ترتق جوربها ، فيغضب ويعنفها طالبا اليها أن تكف عن ذلك ، وأن تقذف بالجوارب القديمة كلها فى الشارع ، فهو لايقبل نظرياتها فى الادخار .

.. ..

وينزل هابى فى بيجامته — هابى الرجل لا هابى الغلام — ويراه أبـوه فى رجولته الكاملة ، فيفيق من أحلامه البعيدة ويعود الى واقع الحياة • ويسأل هابى أباه عن سبب عودته البـاكرة ، فيروى له ما اعتراه من نوبات فى الطـريق • ويتأمل ويلى لومان ما آلت اليه حاله ، فهو نموذج للفشـل فى الحياة : شيخ تجاوز الستين انهارت صحته وأعصابه من كثرة العمل ، وهو رغم ذلك مضطر الى الاستمرار فى العمل ليكسب قوته اليومى •

ويلوم ويلى لومان نفسه على أنه لم يسـتمع الى نصح اخيه الأكبر « بن » ويذهب الى (ألاسكا) مغامرا وراء المال • نعم ، ان أخاه « بن » مثل للرجل الناجح فى الحياة • ان فى الحياة لغزا لا يفهمه ويلى لومان • ان اخاه «بن» عرف مايريده فى الحياة وخرج وراءه فكان له ما أراد • ان الحياة غابة وأخوه «بن» دخلها وهو فى السابعة عشرة من عمره ، ثم خرج من الغابة — وهو فى الحادية والعشرين — ثريا ثراء قارون • فليعلم هابى اذن ان الحياة صدفة فيها لؤلؤة ، ولكن الصدفة لاتكسر على وسادة ناعمة • فليتعلم هابى هذا الدرس من عمه !

ويأتى جارهم « تشارلى » والد « برنارد » بعد أن سمع الضوضاء فى بيت ويلى لومان •• يأتى مستفسرا عن سبب

عودة ويلي . وحين يعلم ما اصابه فى الطريق ، يعرض على ويلى لومان وظيفة عنده تمكنه من البقاء فى نيويورك ، وتجنبه السفر المتواصل . ولكن كبرياء ويلى لومان تجعله يرفض هذا العرض فى غلظة ، فكيف يشتغل موظفا عند جاره ؟!

ويشعر ويلى لومان بالذلة ، فيتوه فى بحار الذكريات وهو يحدث جاره تشارلى ويتمثل أمامه شخص أخيه « بن » حاملا شمسيته وهو يحادثه ، قائلا انه لو كان قد خرج معه الى (الاسكا) لما انتهى الى هذه الحال . ويروى له كيف أنه خرج وراء حظه وهو غلام الى (الاسكا) ، ولكن معرفته بالجغرافيا كانت ضئيلة ، وبدلا من أن يبحر شمالا أبحر جنوبا فوجد نفسه فى افريقيا ، وهناك وجد مناجم الماس !

وفي هذيانه يري ويلي لومان ولديه بيف وهابي - وهما بعد في شرخ الفتوة - ويعرفهما بعمهما الذى دخل الحياة وهو فى السابعة عشرة خاوى الوفاض ، وخرج منها فى الحادية والعشرين وهو يملك الكنوز . ويقول ويلى لومان متهللا ان المعجزات لاتزال تحدث فى الحياة ، وما على ولديه الا اتخاذ عمهما مثلهما الاعلى فى الحياة . انه يربيهما على الرياضة والخشونة ليكونا في قوة عمهما . ويقول العم «بن» للفتى «بيف» : «هيا . جرب ان تلاكمنى . هذه بطنى . اضرب بأقصي قوة !» .. ويعتذر بيف في خجل قائلا انه لايستطيع أن يفعل ذلك . ولكن أباه يأمره أن يفعل ذلك . ويتأهب بيف للملاكمة . ولكن سرعان مايجد نفسه طريحا على الارض بعد أن قلبه عمه «بن» ، ويرى عمه «بن» يسدد شمسيته الى عينيه قائلا : «هذا درس لك يابنى . لاتكن رياضيا أبدا مع الغريب ، والا لما خرجت قط من غابة الحياة» ، ثم ينظر الى ساعته ويقول بلهجة مهذبة وهو ينحنى : « والآن وداعا ! فلابد أن أرحل ! كان شرفا عظيما ومتعة عظيمة أن أزوركم . انى مسافر لاتمام صفقة ، وسأزوركم مرة أخرى فى طريق عودتى الى افريقيا» .. ثم ينصرف .

.. ..



« .. ويرى عمه « بن » يسدد شمسيته الى عينيه .. »

وينهض ويلي لومان كأنه يبحث عن شيء ، ثم يقول انه خارج لنزهة صغيرة . وترتاع ليندا لأن زوجها يهم بالخروج وهو يلبس شبشبه ويهمهم : « ان بن على صواب . ان بن على صواب ! » .. وتذكره ليندا بأنه يلبس شبشبه . وينزل بيف فى بيجامته ليرى أباه على هذا الحال من الذهول وهو يكلم نفسه . ويسأل بيف أمه فى انزعاج ان كان أبوه دائما على هذه الحالة ، فتجيبه بأن حالته تشتد سوءا كلما عاد بيف الى البيت ، وكلما تلقى خطابا بمجيئه يتهلل أبوه فرحا ويشرق وجهه طول الوقت . ولكن عندما يقترب وقت مجيئه يشتد اضطرابه ، فلما يصل بيف يبدأ أبوه فى المشاحنة والشجار معه كأنه لا يطيق رؤيته !

وتسأل ليندا ولدها بيف عن سر هــذه البغضاء التى تستولى عليه وعلى أبيه كلما التقيا • فيروغ بيف من الاجابة ، ويقول ان أباه مجنون • وتغضب ليندا قائلة ان بعض الناس يظنون أنه فقد توازنه العقلى ، ولكنه متعب لا أكثر ولا أقل • ان ويلى لومان رجل متعب • انه ليس رجلا عظيما ، واسمه لا ينشر فى الصحف ، وهو لم يكسب مالا كثيرا ، وهى لاتدعى أنه أبدع خلق الله ، ولكنه انسان • ان شيئا فظيعا يحل به ، وهو بحاجة الى رعاية فى شيخوخته • ان ولديه هلفوتان لا نفع فيهما : هابى يجرى وراء البنات ، وبيف يهاجر كالطير ويعود كل سنة مع الربيع ، وهو لا يظهر الحب أو الاحترام الكافى لأبيه • ان ويلى لومان بحــاجة الى رعاية • نعم ، لابد من رعايته • ان غيبة بيف تكسر قلبه ، ويجب أن يقيم بيف مع أبيه فى نيويورك ويرعاه ، ولكن فليعلم بيف أنه لا مكان له فى البيت اذا لم يظهر الحب والاحترام الواجبين لأبيه •

ان ويلى لومان يقترض كل أسبوع خمسين دولارا من جاره تشارلى ، ويدعى أمامها انها مرتبه ، وهى تعلم أن رئيسه الجديد « هوارد » حرمه من مرتبه ولم يعد يعطيه الا العمولة • ان بيف لا يعرف ما يفعله ابوه • ان كل الناس تظن أن حوادثه الكثيرة نتيجة لاضطرابه ، ولكنها تعلم أنه يحاول الانتحار • ويوم دخل بسيارته فى درابزين الكوبرى الصغير وسقط فى الترعة ، لم ينقذه الا ضحولة الماء ، وقد أثبت الشهود أنه كان يسوق بمنتهى البطء وان سيارته لم تنزلق • انها اكتشفت انه ركب أنبوبة من المطاط على صنبور الغاز فهو يفكر فى الانتحار • انها خجلى لا تعرف كيف تواجهه بهذا • وفى كل يوم ما أن يخرج زوجها الى عمله حتى تنزع أنبوبة المطاط ، ثم

تعيدها الى مكانها حين يعود ، حتى لا يحس بأنها تراقبه أو بأنها تشك فى شىء !

وتنهمر دموع ليندا غزارا وهى تقول كل ذلك ، وتكفكف دموعها متظاهرة بالشجاعة . ويحس بيف وهابى بالندم العميق . ويعد بيف أمه بالبقاء الى جوار أبيه ، والبحث عن عمل فى نيويورك ، وارضائه بكل وسيلة ممكنة .

ويعود ويلى لومان ليجد بيف وهابى فى انتظاره ليعلنا له الخبر الخطير ، وهو أن بيف قرر البقاء فى نيويورك . ويتشاجر بيف وأبوه أولا ثم يتصافيان . ويعلن بيف أباه أنه ذاهب فى الصباح الى صديقه ورئيسه القديم «بيل أوليفر» ليقترض منه عشرة آلاف دولار ، فقد اتفق بيف مع أخيه هابى على افتتاح محل لبيع أدوات الرياضة وانشاء فريقين للباسكت بول يتباريان فى كل مكان للاعلان عن محلهما . وينظر ويلى لومان الى ولده بيف فى اعجاب . ان هذه فكرة تساوى مليون دولار ، ولا شك أن بيل أوليفر سيعجب بالفكرة ويقرضه المال اللازم . ويذهب يزود بيف بالنصائح : يجب أن يكون هادئا حين يزور مكتب بيل أوليفر ، وأن يتسم بالجد والوقار ، وأن يمتنع عن الثرثرة . يجب أن يتمسك بخمسة عشر ألف دولار ولا يقبل قرضا أقل من هذا ، فالفكرة عظيمة ورجال الأعمال لا يخافون من الأرقام . واذا سقط شىء من مكتب « بيل أوليفر » فلا ينبغى أن ينحنى بيف لرفعه ، فهذا عمل الخدم !!

وتسبح الأسرة كلها فى الأمل الباسم ، وتعود السكينة الى قلب ويلى لومان ، وتتجدد نفسه بالأمل . وحين يخلد الى فراشه لا تنسى ليندا أن تذكره بأن يقصد فى الغد الى مدير الشركة هوارد ليطالبه بوظيفة فى نيويورك .



ويغمض ويلى لومان عينيه ، وينام نوما قريرا لم يذقه منذ زمان طويل ، فى حين تمتد يد بيف الى ظهر مدفأة الغاز فتقع يده على أنبوبة المطاط ، فينظر اليها بارتياع !

- ٣ -

وفى الصباح يقصد كل الى وجهته وصدره زاخر بالأمل . يقصد ويلى لومان الى مكتب رئيسه هوارد ، ويقصد بيف الى مكتب رئيسه القديم بيل أوليفر . ويتواعد الولدان مع أبيهما على الاحتفاء به مساء فى مطعم « فرانك » حيث يتعشى ثلاثتهم عشاء فاخرا احتفالا بهذا اليوم السعيد !

ويجد ويلى لومان المدير هوارد فى مكتبه متهللا كالأطفال وقد وضع أمامه آخر اختراع بل معجزة الاختراعات : « الريكوردر » : أو مسجل الصوت ، وأخذ يستمع الى صوته وصوت زوجته ، وابنته وابنه وهو يتلو فى صوت منغم : « الاباما وعاصمتها (مونتجومرى) ، أركانساس وعاصمتها (ليتل روك) ، كاليفورنيا وعاصمتها (ساكرامنتو) الخ .. » ويشرح هوارد لويلى لومان فوائد الجهاز الجديد فى لغو من لغو الصبية ، وأخيرا يتنبه الى

انه يخاطب ويلى لومان ، فيسأله عاجبا عن سبب مجيئه وتخلفه عن السفر الى (بوسطون) ؟!

ويدخل ويلى لومان فى الموضوع . انه جاء يطلب وظيفة فى مقر الشركة تعفيه من السفر المتواصل ، فهو قد بدأ يحس بالارهاق . ويجيبه هوارد بأنه يقدر ظروفه ولكنه لا يجد له وظيفة فى نيويورك . ويذكره ويلى لومان بوعده السالف يوم عيد الميلاد ، ويذكر هوارد هذا الوعد ولكنه يتنصل منه . ان مقر الشركة ليس فيه الا ستة يقومون بالبيع ، أما هو فعمله هو عمل القومسيونجى المتنقل من بلد الى بلد .

ويخاطب ويلى لومان فى هوارد انسانيته . ويذكره بأن أباه المرحوم مستر « فاجنر » كان يحبه ويعطف عليه . كان يعمل للشركة أيام كان أبوه يحمله بين ذراعيه ويدلله فى المكتب . نعم ، تلك كانت أياما جميلة . انه يذكر ان المرحوم مستر فاجنر جاءه عند ولادة هوارد ،وسأله عن رأيه فى اسمه . انه لا يطلب الا خمسين دولار فى الأسبوع .

ولا يحرك هذا الكلام عاطفة فى نفس هوارد ، بل يبدأ يتململ فى مكانه . انه يقدر كل هذه الذكريات الجميلة ، ولكن العمل عمل والعواطف عواطف ولا يلتقى الاثنان . وينفعل ويلى لومان فيندفع فى الكلام ـ و « هوارد » شبه شارد عنه ـ قائلا انه لاينسى الأيام القديمة حين كانت المهنة فنا شريفا يقوم على التقدير الشخصى ، والتعاون ، والاحترام ، وروح الزمالة، والاعتراف بالجميل ! أما اليوم فكل شىء غدا آليا لا مكان فيه للتقدير الشخصى ، أو لأى مبدأ من هذه المبادىء الجميلة . ان الناس يتنكر بعضهم لبعض ، وينسون الصداقة والوفاء تحت شعار ان العمل عمل ... انه يرضى بأربعين دولارا فى الأسبوع !

ولكن هوارد لا يلين . ويذكر ويلى لومان هوارد وهو

ثائر بوعود أبيه ، وبتفانيه فى خدمة الشركة ، ولكن هوارد يوليه ظهره قائلا ان لديه أعمالا كثيرة . وحين لا يفيد كلام ، يرضخ ويلى لومان للأمر الواقع ويقول : « سأسافر اذن الى بوسطون » . فاذا بهوارد يجيبه بأن الشركة بغير حاجة الى سفره ، وأنه بحاجة الى راحة طويلة . وقد أراد منذ مدة أن يبلغه رغبة الشركة فى الاستغناء عن خدماته ، وهذه فرصة مناسبة . وحين يسترد ويلى لومان صحته ، يمكنه أن يمر به ليرى ان كان هناك مجال لاستئناف العمل !

ويسقط فى يد ويلى لومان ، ويقول بصوت مختنق انه بحاجة الى أن يكسب قوته ، فيجيبه هوارد قائلا ان له ولدين يستطيعان أن يعولاه . ثم يتركه وينصرف .

وتظلم الدنيا فى عينى ويلى لومان ، ويتوه فى ذكريات الماضى ، ثم يرتد الى رشده أو بعض رشده ، ويخرج وهو يكلم نفسه ، ونظرات الناس تحدجه فى المصعد .

وفى خروجه يلتقى ويلى لومان ببرنارد ابن جاره تشارلى ، ويسلم عليه فى ذلة وحرارة معا ، فهو لم يره منذ زمن . ان برنارد زميل ولده بيف فى الدراسة ، تخرج من الجامعة وأصبح محاميا ناجحا . ان ويلى لومان لا يفهم . لابد أن فى الأمر سرا . كل الناس ناجحون الا هو وولديه . ويسأل ويلى لومان برنارد فى ذهول : « ما السر ؟ .. أجبنى . » ويعجب برنارد لهذا السؤال الغريب ويسأله : « أى سر ؟ » .. فيقول ويلى لومان : « كيف نجحت ؟ وكيف فشل بيف ؟ » ان برنارد كان زميل بيف حتى البكالوريا ، ان حياة بيف توقفت عند البكالوريا !

ولا يجد برنارد ما يقوله الا أن بيف لم يعد نفسه لأى عمل فى الحياة . ويكذب ويلى هذا قائلا ان بيف درس هندسة

الراديو والتلفزيون وأشياء كثيرة بالمراسلة ، ومع ذلك لم يوفق فى شىء .

ويسأله برنارد أن يجيبه بصراحة . ان أمرا ما حدث لبيف سنة البكالوريا وغير مجرى حياته . فماذا حدث ؟ انه رسب فى الرياضة . وكان يعتزم الاستعداد للملحق أثناء الصيف ، ولكنه لم يفعل ، ولو أنه فعل لحصل على البكالوريا ودخل الجامعة ، وسارت كل أموره سيرها الطبيعى . فهل أبوه هو الذى أشار عليه بعدم دخول الفصول الصيفية ؟

ان ويلى لومان لم يشر على ابنه بشىء من هذا ، بل على العكس من ذلك أمره بدخول المدرسة الصيفية ، ولكن بيف لم يدخل . فلماذا لم يدخل بيف المدرسة ؟ هذا هو السؤال الذى لاحق ويلى لومان نفسه خمس عشرة سنة دون أن يعرف له جوابا . انه سقط فى مادة الرياضة ، ثم سقط بعدها كميت هوت عليه مطرقة ولم ينهض بعدها من كبوته ! .. ومع ذلك فبرنارد يقول ان رسوب بيف لم يكن له أى أثر فى معنوياته ، فقد كان على أتم استعداد لدخول المدرسة . وسافر الى بوسطون ليقابل أباه ، ولكنه بعد عودته من بوسطون كان شخصا آخر !

- ٤ -

ويأتى تشارلى والد برنارد فيطلب اليه ويلى لومان أن يقرضه مائة دولار ، فأمامه قسط التأمين ، وأمامه آخر قسط من أقساط البيت يدفعه فيصبح البيت ملكه ، بعد خمس وعشرين سنة ! ويجدد عليه تشارلى عرضه السابق ان يعمل ويلى لحسابه مقابل خمسين دولارا أسبوعيا . ولكن ويلى لومان يرفض رفضا باتا ، متظاهرا بأنه لايبحث عن عمل . ويرثى تشارلى لهذه الأزمة النفسية التى يعانيها جاره ويلى لومان ،

فيعطيه ماطلب • وتنهار أعصاب ويلى لومان فيروى لتشارلى ان هوارد فصله رغم ماكان بينه وبين أبيه من ود قديم ، فيجيبه تشارلى بأنه ينبغى أن يستيقظ من أحلامه ، فليس للمرء فى هذه الحياة الا ما يستطيع أن يبيعه • ان ويلى يتحدث عن الحب بين الرجال ، فمن الذى يحب المليونير «مورجان» ؟ ومن ذا الذى يؤخذ بشخصيته ؟ ان مورجان لو دخل حماما تركيا لما كان هناك أى فرق بينه وبين أى جزار فى أمريكا !

وفى مطعم فرانك يعد هابى العدة للعشاء الكبير ، وفى المطعم تصخب الموسيقى الراقصة ، ويعد الجرسون « ستانلى » المائدة ، ويجهز أكواب الشمبانيا للاحتفال • وفيما ينتظر هابى أخاه بيف وأباه ، يلمح غانية جميلة ، ويغازلها • وبعد دقيقة يتقارعان الكؤوس • ويصل بيف الى المطعم ، وينضم اليهما ، ويطلب هابى من الغانية أن تدعو صديقة لها ترافق أخاه بيف ، فتمضى الى التليفون •

ويروى بيف لهابى ما كان من أمره مع بيل أوليفر • انه انتظر خارج مكتبه ست ساعات ولم يستطع أن يقابله • وحين خرج بيل أوليفر من مكتبه جرى خلفه فوجده لا يذكر شيئا عنه ، فلما ذكره بنفسه رمقه بنظرة احتقار قائلا : « أنت لم تكن بائعا فى محلى • انت كنت كاتب شحن » ثم انصرف ومن بعده سكرتيرته ووجد بيف نفسه وحيدا ، فدخل مكتب بيل أوليفر وسرق قلمه الابنوس الفاخر بلا وعى •• ثم انطلق كالمجنون !

ان حلمه وحلم أبيه قد تبددا • ترى كيف يواجه أباه بالحقيقة ؟ ان أباه بحاجة الى خبر سعيد يرفع معنوياته • محال أن يستمر هذا الحال • ان آل لومان كلهم يعيشون على الأوهام ، ولا بد أن تتبدد الاوهام ويجابهوا الحقيقة !

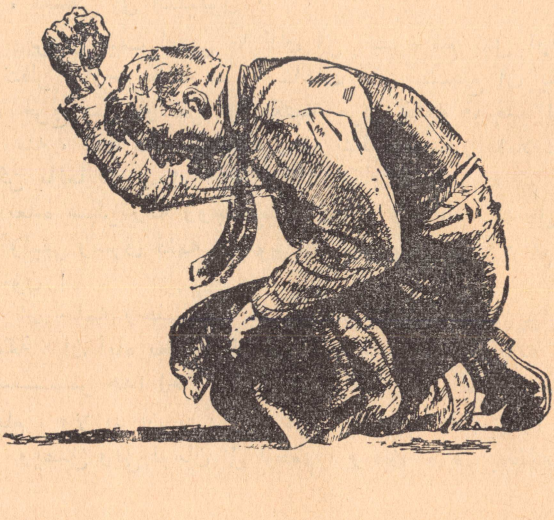
ويصل ويلى لومان الى المطعم • وحين يعرف بحقيقة ماكان

بين بيف وبيل أوليفر ينقض عليه الخبر كالصاعقة ٠ ان الغابات تحترق من حوله ، وهو الآن محاصر بين النيران ٠ انه فصل من عمله ٠ وهذا بيف يجيئه بالخبر المشئوم !

وتتجمع السحب فى عقل ويلى لومان من جديد ، ويرجع الى الماضى البعيد ، عام رسب بيف فى البكالوريا ، فسافر الى بوسطون ليبلغ أباه برسوبه ، وليطلب اليه أن يتوسط عند المدرس « بيرنباوم » ليعطيه ثلاث درجات فى الرياضة فينجح ٠

.. ..

ويتمثل ويلى لومان نفسه فى بوسطون .. فى الفندق الذى تعود أن ينزل فيه .. والساعة الثانية صباحا . وباب حجرته يدق.. والمرأة المتلئة الى جواره فى الفراش تقول : «انهض وانظر من الطارق» .. فينهض ، وتختفى المرأة فى الحمام . ويفتح ويلى لومان الباب فاذا به أمام بيف . ويدخل بيف ويبدأ في الحديث عن الامتحان . وتضحك المرأة المختبئة في الحمام ، ثم تدخل على ويلى لومان وبيف عارية لايسترها الا سروال أسود!



ويصعق بيف ! .. ويحاول ويلى لومان أن يفهمه ـ والعرق يتصبب من وجهه ـ أنها مجرد جارة له فى الفندق ، لجأت الى غرفته حتى يتم طلاء غرفتها . وتنهمر الدموع من عينى بيف ، وينظر الى أبيه فى احتقار شديد ثم ينفجر فيه قائلا : «لاتمسنى أيها الكذاب .. أنت رجل مزيف» .. ثم ينطلق خارجا ، ويترك أباه راكعا على الارض يضربها بقبضته .

.. ..

ويسقط ويلى لومان على أرض المطعم ، ويفيق من بحرانه . ويساعده الجرسون ستانلى على النهوض . ويبحث عن ولديه فلا يجدهما . ويعلم انهما غادرا المطعم مع الفتاتين حين رأياه يكلم نفسه ويهذى بعبارات غير مفهومة ، وقد أنكرا أمامهما كل صلة به !

ويساعده الجرسون ستانلى على اصلاح هيئته ، ويرفض رفضا تاما أن يقبل منه أى بقشيش . ويعود ويلى لومان الى بيته . وفى طريقه يمر بدكان يبيع البذور . كان حلما من أحلام حياته أن يزرع البنجر والجزر فى الفناء الخلفى الصغير الواقع وراء بيته . وفى البيت تعنف ليندا ولديها على تركهما أباهما فى المطعم . وينكر بيف وهابى انه كان فى خطر ، ويزعمان انهم كانوا جميعا على أحسن حال مع فتاتين صديقتين . وتنهال عليهما أمهما بالشتائم وتطردهما من البيت . انهما فى مصاف الحيوان . لقد كان فى امكانهما أن يؤجلا صحبة البغايا الى يوم آخر !

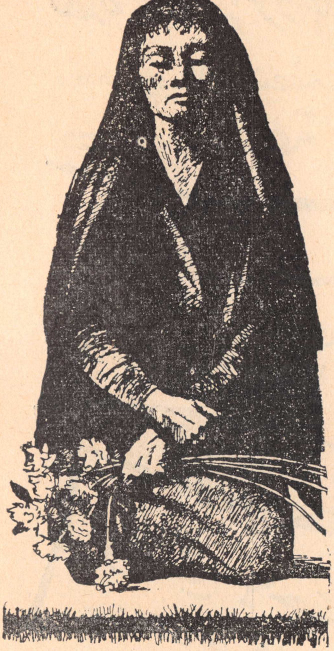


وترقب ليندا زوجها وهو فى الفناء الخلفى يقلب الأرض ويدفن البذور ، لكنه فى بحران . انه يكلم نفسه ويكلم أخاه « بن » قائلا : « اسمع لهذا المشروع يا « بن » ، وقل لى رأيك ، انه مشروع عظيم .. عشرون ألف دولار مضمونة مائة فى المائة .. انها قاست كثيرا يا بن .. أتفهم ما أقول؟ ان زوجتى قاست كثيرا » ..

ويسمع ويلى لومان أخاه بن يسأله : « هل أنت واثق من ان شركة التأمين ستدفع البوليصة ؟ » فيجيبه ويلى لومان: «نعم . دون أدنى شك . كل قسط من أقساطها مدفوع» .. ويقول بن : «سيقولون انك جبان» .. فيجيب ويلى لومان : « وأى شجاعة فى أن أستمر فى حياة لا قيمة لها ؟ »

ويقتنع بن ويقول : « هذا مشروع عظيم . تأكد فقط انهم سيدفعون بوليصة التأمين . »

وترتاح نفس ويلى لومان لأن أخاه بن قال انه راض عن مشروعه الكبير . ويرى فى حلك الليل عشرين ألف دولار ، وكأنها ماسة كبيرة ، تلمع فى الظلام ! .. ويرى الماسة فى يد زوجته !



ويكون سكون ..
وتسمع ليندا وبيف
وهابى موتور السيارة
يخفق ثم ينطلق .

وهكذا تكون نهاية القومسيونجى

وبعد قليل تجتمع
أسرته حول قبره .. ثم
ينصرف بيف وهابى ،
ويتركان أمهما المتشحة
بالسواد راكعة عند
قبره .. وفى يدها
باقة من الأزهار !!

من قصص البطولة المصرية

جاسوسة أحمس

قصة مستوحاة من تاريخ حرب الهكسوس

بقلم: ابراهيم المصري



« .. وقال وهو يجذب « أمنريس » من ذراعها ويلهث : ألم تسألى ؟ .. ألم تسألى النار بعد عن مصيرنا ؟ .. آن جيوش فرعون تتقدم صوبنا ، وأكبر ظنى أن المعركة الفاصلة ستنشب غدا .. فخاطبى النار وطمئنينى ! .. فصاحت وهى تعانقه وتطبع على فمه المختلج قبلة مشفوفة ظمأى : ستنتصر يا سالتيس ! »

« وقعت حوادث القصة فى عهد فرعون مصر « أحمس » وكان (الهكسوس) ، وهم قبائل أسيوية همجية ، قد اغتصبوا أرض مصر ، وظلوا يعيثون فيها ويسومون أهلها الاستبداد والظلم . فلما ظهر فى أواخر القرن السابع عشر قبل الميلاد فرعون « أحمس » ، قاتلهم وانتصر عليهم ورد فلولهم الى آسيا ، ثم اقام امبراطورية مصرية صميمة هى امبراطورية طيبة الثانية »

- ١ -

ـ **كان** الظلام حالكا ، واسوار مدينة (ممفيس) تبدو كأنها طوق شاهق مروع ، ينبثق من جوف الظلمة الساكنة ويختلط بها ، ويلتف بالمدينة ويفصلها عن عالم الاحياء ..

واستأنست « امنريس » بالصمت والظلمة واطمأنت . فتسللت الى سطح القصر المجاور للاسوار ، وانبطحت على الارض وغمغمت :

ـ « رحيو » .. !

فتظاهر الرجل بأنه لم يسمع ، واتأد فترة ثم دنا منها. فهمست :

ـ هل من جديد ؟

فأجاب :

ـ الليلة ! .. سيهجم فرعون الليلة بجيش جرار . وأنت ، هل وفقت فى مسعاك ؟

فقالت :

ـ سأحاول ... وما دمت انت الليلة فى نوبة الحراسة ، فسأبذل جهدى كى أوفق . واذا وفقت فسأبعث

اليك بجاريتى ... ابتعد ... كن على حذر ... عم مساء يا « رحيو » .

وزحفت « امنريس » فى هدوء ، وهبطت سلم القصر ، ودخلت البهو الكبير ، وجلست . جلست القرفصاء على الارض ، وطفقت تحدق فى قدر كبيرة تشتعل من تحتها النار . ثم لوحت بذراعيها فوق القدر ، وتمتمت عبارات غريبة غامضة ، وعيناها السوداوان الواسعتان تلمعان ..

وكانت جاريتها المخلصة « تامينا » ترقب حركاتها ، وقلبها يخفق ، وصدرها يلهث ، وبدنها يرتعش . فلما صمتت امنريس ، وكفت ذراعاها عن الحركة ، ونهضت ، تطلعت اليها الجارية مستفسرة . فقطبت المرأة حاجبيها ، واطرقت لحظة ، ثم رفعت رأسها الشامخ المكلل بشعر أسود مجعد جميل ، وهتفت :

- انى ارى فى النار كل شىء يا تامينا ... أرى فرعون نفسه ... أرى « احمس » العظيم مقبلا من بلاد الصعيد ، من مدينة طيبة ، يتقدم صفوف جيشنا ، وينقض على الهكسوس ، على ملوك الرعاة الذين اغتصبوا نصف بلادنا ، ويقهرهم ... نعم يقهرهم ، ويهدد هذه المدينة ، مدينة ممفيس المصرية ، التى اتخذوها عاصمة لهم ! ... ثم أرى نفسى ... أنا ... أنا .. المرأة الضعيفة الخاملة ، أتسلل من فراشى ، وأغافل قائد جيش ملوك الرعاة « سالتيس » ، وأنطلق فى الظلام الدامس ، حاملة الى فرعون أحمس مفتاح أسوار المدينة !

وصمتت أمنريس لحظة ثم صرخت :

– سيدخل فرعون المدينة وسينتصر ٠٠ سيطرد الغاصب وينقذنى ٠٠٠ سيوحد مصر كلها بفضل شجاعته وحيلتى ! لابد ان أسرق مفتاح أسوار المدينة ، ولابد أن أثأر من قائد الرعاة « سالتيس » الذى أذل بلادى ، وقتل أمى وابى ، واقتادنى الى هنا أسيرة ، واستباح عرضى ، والقى بى فى غيابة هذا القصر سجينة ، لا تبصر عينى ضوء النهار ، ولا تلفح بدنى أشعة الشمس ! انه يحبنى وأنا اكرهه ! أكرهه بعدد ما يحمل قلبى فى حياتى كلها من خفقات ! سأثأر منه ، وانقذ ايضا رفاقى الاسرى ٠٠٠ رفاقى الاسرى المصريين الذين أمر السفاح بقتلهم غدا بعد عرضهم أمام الشعب فى الساحة الكبرى ! سأنقذهم ، ثم اتصل بفرعون أحمس ٠٠٠ أتصل به عن طريق جاسوسنا « رحيو » الذى استطاع أن يكسب ثقة الهكسوس ، ويصبح من حراس اسوار المدينة ٠٠٠ ثم أضلل الجميع واخدعهم ، وابعث الى فرعون بمفتاح الاسوار ! الليلة ! سيكون جيش فرعون هنا الليلة ، وسيتم الليلة كل شىء ياتامينا ! ٠٠ هذا ما أراه الآن فى النار !

فقالت الفتاة وهى تنتفض :

– أعرف يامولاتى أنك نشأت فى طيبة بين جدران المعابد ، وانك امرأة عبقرية الذكاء ، تلقيت من الكهنة جميع ضروب السحر ، وانك الى جانب حسنك الرائع الفتان ، أمهر وأحذق ساحرة فى مصر كلها ٠ ولكن ألا يمكن أن يخدعك

المجهول ؟ الا يمكن أن يغدر بك القدر ؟ ألا يمكن أن تضللك النار ؟

فغمغمت امنريس :

ـ النـار لا تكذب ! ومتى قرأت عليهـا تعاويذى ، واستعنت فى تلاوتى بوحـى آمون سيدى ونصيرى ، رأيت فيها المستقبل رأى العين ياتامينا ! ومع ذلك فالنار وحدها لا تكفى . لابد من عقل وارادة وعبقرية ياتامينا . وأنا واثقة من نفسى ، ومن القوة الذهنية والروحية الخارقة التى أودعها آمون فى كيانى ، والتى أحس بها تجيش وتصطخب فى كل نقطة من دمى !

وتقبضت تقاطيع وجهها فجأة وصرخت :

ـ لماذا ؟ لماذا أحبنى القائد السفاح سالتيس ؟ ولماذا اقتـادنى الى هنا ؟ لم يحببنى لجمالى فقط ، بل أحبنى لفنى أيضا ... أحبنى لأنى قرأت فى النار حظه ، وقلت له انه سيقهر فرعون ، وان كنت قد أخفيت عنه أنه سيهزم فى النهاية ويتحطم ! فاياك أن ترتابى فى قدرتى ياتامينا ، فهى من عند الآلهة ، والآلهة لا يمكن أن تخطىء أو تنسى أو تخون!

فصاحت الفتاة بالرغم منها :

ـ اذن فافتحى لى مغاليق صدرك يامولاتى وتكلمى .. ماهى خطتك .. ماهو تدبيرك وكيف .. كيف سـيمكنك التغلب على القائد ، وانقاذ الأسرى ، ومعاونة فرعون ، وحمل مفتاح أسوار المدينة اليه ؟

فندت عن امنريس ضحكة مخنوقة وقالت :

— هذا سرى .. وكل ما أستطيع أن أفضى به الآن اليك هو أنى أسيرة مصرية فى بلد مصرى مستباح ، وان مصريتى تشدد عزمى ، وتلهب فنى ، وتفتق حيلتى ، وتضاعف شعور الكراهية والبغض الذى أحسه نحو أعداء بلادى ! فأنت مصرية مثلى ، وأنت أيضا أسيرة ، فاقتدى بى ، واكتفى الآن بما سمعت ، وتجلدى واصبرى ..

وعادت امنريس الى القدر الكبيرة ، وانحنت عليها ، ومضت تتأمل النار ، صامتة جامدة ، وعيناها السوداوان المكحلتان ترقبان فى ابتسامة عريضة ضوء اللهب المتصاعد الذى كان قد أخذ يفتر شيئا فشيئا ، ويوشك أن يستحيل الى جذوة ملتمعة . وفجأة ، وبينما هى منهمكة فى التأمل والتفكير ، طرقت مسمعها جلبة مشفوعة بصوت تعرفه . فاستدارت لفورها ، ونصبت قامتها ، وأهابت بجاريتها وهى تزفر :

— اسرعى بالخروج ! الى مخدعك حالا ! البثى هناك وانتظرى أوامرى !

فاتجهت الفتاة صوب أحد الأبواب الجانبية ، وفتحته ، ثم مرقت منه مروق السهم ، وأوصدته خلفها . ولم تكد تختفى حتى فتح باب الصدر ودخل منه قائد جيش ملوك الرعاة « سالتيس » .

وكان القائد رجلا فى الخمسين من عمره ، ضيق العينين ، غليظ الشفتين ، أقنى الأنف ، ناتىء الذقن ، دميما دمامة يضاعف تأثيرها المنفر طول قامته ، وتكتل عضلاته ،

وترنح رأسه الضخم، وتهدل شعره الاسود المشوش الغزير.

وارتمى القائد من فوره على القدر الكبيرة ، وقال وهو يجذب امنريس من ذراعها ويلهث :

ـ ألم تسألى ٠٠ ألم تسألى النـــار بعد عن مصيرنا ؟ اقرئى ، اقرئى عليها كل ماوسعه علمك الجامع وسحـرك الناجع من رقى وتعاويذ ، واكشفى لنا النقاب عن مستقبلنا ! ان جيوش فرعون تتقدم صوبنا ، وأكـبر ظنى أن المعركة الفاصـلة ستنشب غـدا ٠٠ فخاطبى النار وطمئنينى ٠٠ ومهما قال لك اللهب الاحمر المقدس ، فيجب أن تصارحينى به الساعة والا أهلكتك دون رحمة !

فصاحت امنريس وهى تعانقه وتطبع على فمه المختلج قبلة مشغوفة ظمأى :

ـ ستنتصر ياسالتيس ! هذا ما رأيته فى النـــار منذ ساعة وأنا أرقبها ! انظر ٠٠ ألا ترى فى هذه الجذوة الخامدة صورة فرعون وهو منسحق تحت حوافر جوادك ، يتطلع اليك مبتهلا ويستصرخك الرحمة ؟ ألا ترى ابنك الوحيد « جالى » وهو يضمك الى صدره ويبكي بكاء الفرح والذهول والاعجاب؟ ٠٠٠ ولكنك لا ترى شيئا ٠٠٠ لا يمكنك أن ترى شيئا ٠٠٠ أنا وحدى التى أرى ! ومادمت قد رأيت ، فمن المحتم أن أكون مبصرة وصادقة ، لأنى انما أنظر بعين سيدى ، بعين آمون العظيم لا بعينى !

فقبلها الرجل فى لهفة مخبولة وقال وهو يجلس :

ـ الآن فقط هدأت نفسى واسترحت ٠ تعالى ٠٠٠ تعالى

واجلسى بجوارى ... ماشككت أبدا فى نبوءة تفيض بها شفتاك ، أيتها الساحرة المصرية العبقرية القادرة على مغالبة دورة الأفلاك ! أنت ، أنت يا امنريس حظى الباسم ، ونجمى اللامع ، وحبى الزاهر ، وملاذى بعد ولدى الوحيد وملجئى . كنت على وشك أن أتزوج بعد أن فقدت امرأتى . ولكنى منذ عرفتك آليت على نفسى أن أنقطع لعبادتك ، ولا أشرك فى هذه العبادة انسانا غير ولدى ! ولو أن شرائعنا كانت تبيح لنا نحن القواد الزواج بالأجنبيات ، ماترددت لحظة واحدة فى اتخاذك خليلة لى ! فأنا أحبك ، أحبك يا امنريس الى حد الجنون ، فقولى انك أنت أيضا تحبيننى ، والا قتلتك !

وزايلته رقته ، وانقلب فى مثل لمح الطرف من انسان الى وحش . فلم تضطرب امنريس ، بل ضمته الى صدرها ، وهدهدته كطفل ، وقالت له وهى تلاطفه وتداعبه :

ـ أنا أحبك ياسالتيس أكثر من عينى وقلبى ، وجسمى الباقى وروحى الخالدة . ولكن أشفق على . ارحمنى . لا تقتل الأسرى المصريين رفاقى واخوتى . نحن لا نقتل أسراكم ، فلماذا لا تعاملوننا بالمثل ، وتحترمون شخصية الأسير الأعزل بوصفه انسانا ؟

فأومضت عينا القائد ، وعاودته وحشيته ، وقال :

ـ أنت اليوم منا يا امنريس ، ولا حق لك فى التحدث باسم المصريين والا كنت خارجة علينا ! كل أسير من جند فرعون هو فريسة لنا . ومادام قد رفع السلاح فى وجهنا ، فموته أصبح حقا مشروعا لنا . لن أرحم الأسرى . سألغ

صباح الغـــد فى دمهم كما تلغ الضوارى ، وسآمر بقتلهم جميعا قبل بدء المعركة . فاياك ، اياك أن تشفعى لهم والا تنكرت لحبى وغامرت بحياتك !

فصاحت وهى تصطنع التحول والقسوة :

ـ اذن ليقتلوا ولتعش أنت ! لتعش أنت لى ، فحبك هو وطنى وعشيرتى !

وانكمشت فى عمـــق حضـــنه ، وأردفت مبتهلة وهى تتشبث به :

ـ احرص ... احرص على حياتك جهدك .. ثم .. ثم احرص على الوديعة التى ائتمنك عليها قومك .. احرص على مفتاح أسوار المدينة ، والا فقد يفطن أحد جواسيس العدو الى المكان الذى أخفيته فيه ، فيغافلك وأنت فى حومة القتال ويسرق مفتاح الأسوار ، ويحمله الى فرعون احمس !

ومالت الى القائد فى دل ناعس فتـــان ، وقبلته قبلة هائمة طويلة ، ثم غمغمت وهى تتطلع اليه :

ـ أين ... أين أخفيت المفتاح ؟ أليس من الأفضل أن تخفيه عندى أنا .. أنا التى لا يرانى ولا يعرفنى ولا يمكن أن يصل الى أى جاسوس !

فرمقها القائد بنظرة جانبية فاحصة ، وقال فى صوت كاسر وهو يشيح بوجهه :

ـ المفتاح فى حرز منيع . ومن المحال ، من المحال أن تعثر عليه يد انســـان ! .. على أنى لن أستخدمه أبدا .. أبدا .. وحتى لو قدر لفرعون أن ينتصر ويهزم جيشى ، فلن أفتح له الأسوار ، حتى أهلك أمام عينيه أهلها المصريين جميعا!

فهتفت امنريس :

ـ يالك من بطل · بطل راض نفسه على المجالدة والكفاح ، فلم تعد تعرف الرحمة الى قلبه سبيلا · انى معجبة بك وتواقة اليك ···

ومشت اليه وهى تتثنى ، فدفعها عنه فى رفق ملؤه الزهو ، وقال :

ـ سأكون هنا بعد ساعة أو أقل · ميقات ما أصدر أوامر عسكرية جديدة يقتضيها هجوم فرعون المرتقب ثم أعود ··· أريد أن أحظى بك فترة مليئة قبل أن أخوض غمار هذه الحرب الفاصلة · فألى الملتقى ياحبيبتى ، وصبرا ···

فتمتمت امنريس :

ـ صبرا ·· صبرا ·· والى الملتقى ياحبيبى ··

وقبلها فى شغف وانصرف ، فلوحت له بذراعها ، وظلت تتبعه النظر وهى تبتسم · ثم مضت وأغلقت باب الصدر وأسرعت الى القدر الكبيرة ، فأشعلت فيها النار · ثم ألقت فى القدر سائلا أخضر كثيفا ، اتبعته برشاش أصفر ناعم صنعته من نباتات مجففة ومسحوقة ، ثم أكبت على القدر ، وتمتمت بعض التعاويذ وطفقت تحدق فى النار !

- ٢ -

وخاطبت نفسها قائلة واللهب يلفح وجهها :

ـ هناك أشخاص لا تفتأ تعذبهم ثلاث كوارث : الكارثة التى حلت بهم بالأمس ، والكارثة التى نزلت بهم اليوم ، والكارثة التى يتوقع خيالهم المريض أن تعصف بهم غدا ··

وهؤلاء الاشخاص هم الضعفاء ، هم فرائس الحياة لأنهم فى الواقع فرائس أنفسهم ... أما أنا فلن أكون ضعيفة . لن أكون فريسة لنفسى وخيالى أبدا ! ... يجب ... يجب أن أقدم ! الانسان الذى يغامر قد يصيب الهدف أو يخطئه . ولكن الانسان الذى يجبن ولا يغامر لابد أن يخطىء جميع الأهداف ... ومع ذلك فهل فى مقدورى أن أفعل هذا ؟ لم أقدم أبدا على عمل كهذا ، لا أنا ولا أى مخلوق فى بلاد مصر بأسرها ! الكهنة المختارون ، هم وحدهم الذين أقدموا ونجحوا ... فهل أنجح أنا ؟ هل تسعفنى عبقريتى ؟ انها لأول مرة فى حياتى ... ولكنى لابد أن أجرب ... لابد أن أجرب اذا اقتضى الأمر ... لابد أن أعرف مدى قوتى وسلطانى . لابد أن أستوثق من فيض روحى ، وسيال بصرى ، وتأثير عصبى وارادتى وعقلى... ان الذى علمنى فنون السحر هو كاهن آمون الأعظم . وقد قال لى ان فى وسعى .. فى وسعى اذا شئت أن أتسلط على غيرى ... فلماذا لا أجرب لو أحرجت؟ لماذا لا أحاول؟ اننى فى الواقع أخشى لو تسلطت على انسان أن أفقد فجأة سلطانى عليه فيموت بين يدى ! .. ولكن لا .. لن يموت .. سأقرأ عليه أبلغ التعاويذ وأوقعها وأمضاها .. وسأرده الى الحياة باذن آمون العظيم ! ومتى اقترن فعل الروح بسلطان الآلهة ، فلا بد أن يخضع الانسان فى النهاية ثم ينهض بعد المكاشفة والاعتراف ... وسيخضع « جالى » . سيخضع لروحى ان لم يخضع لجسدى . سيذعن لمشيئتى وهو صاغر ... فلأمض اذن فى خطتى

ولأتقدم ·· ما الانسان ؟ انه لمنجم حى ، ولا قيمة لوجوده الا اذا حاولت ارادته أن تستخرج كنزه من الأعماق! يجب أن أتقدم · هذا واجبى الوطنى ، وعلى أن أؤديه مغـــامرة بكل شيء ، ومستخدمة كل سلاح !

واستجمعت قواها ، واندفعت ··· اندفعت نحو باب جانبى صغير ، وهمت بأن تفتحه · وفى تلك اللحظة ترامى الى سمعها من الساحة الكبرى صراخ جيش العدو وهو يهتف هتافا مدويا ، ويطالب رجال الشرطة باستعجال أمر القائد ، واعدام المصريين الأسرى · فارتعشت امنريس وثار ثائرها · ولكنها خشيت أن يذهب بلبها الحقد ، ويفقدها سلطانها على نفسها · فتجلدت وتماسـكت وابتسمت ، وقالت فى صوت رقيق لطيف وهى تفتح الباب الجانبى :

ـ تعال ··· تعـــال ياجالى ··· لا تخف ··· لقد انصرف والدك ·· أنا أعلم أنه الآن مشغول عنى بما هو أهم بكثير منى فلا تخف ···

فبرز الشاب من مكمنه · فاحتوته المرأة بين ذراعيها ، وغمرته عامدة بقبـــلاتها ، وهمست فى أذنه وهـــى ترجف صوتها وأعضاءها :

ـ كلمـــا اقترب والدك منى ، غلى الدم فى عـــروقى ، وشعرت انى لا أحب فى هذه الدنيا سواك ! لقد أحببتك منذ أول يوم رأيتك فيه ياجالى ··· منذ أول يوم دخلت فيه هذا القصر وأصبحت أسيرة والدك ·· ماذا فعلت بى ؟ لقد سلبت عقلى ، وامتلكت حواسى ، واستقر حبك منى فى الصميم ·

فلا تغضب على ··· سأمنحك كل ماتطلب ··· كل شيء !

فصرخ الشاب وهو يكاد يبكى :

ـ ثلاثة أسابيع بطولها وأنا أتعذب ··· أراك تحبيننى ثم تعرضين عنى · تتلهفين على ثم تتملصين منى · وأنا بين اقبالك واعراضك ، بين اقدامك واحجامك ، بين رغبتك وترددك ، أكاد أفقد عقلى ! ألم يكفك أنى خنت والدى فى سبيلك ؟ ألم تفهمى أنى أستهدف للموت فى كل لحظة من أجلك ؟ ألم تدركى أنى أغار من أبى غيرة تمزقنى ، وان صدك يلهب نار غيرتى ، ويوشك أن يبتلينى بالهوس والجنون ؟ انك ان تماديت فى صدك واعراضك ، فلن أرحمك يا امنريس ، وقد أقتلك وأقتل نفسى !

فضمته فى عنف الى صدرها · وشخصت اليه باسمة وقالت:

ـ أفى وسعك حقا أن تقتلنى ؟

فتراجع الشاب مختلجا، ونظر اليها نظرة مأخوذة، وهتف:

ـ أنا ؟ ·· أنا أعبدك يا امنريس · ولا أستطيع ، لا أستطيع أن أتصور لحظة واحدة أن هذه اليد التى تلمسك فى خشوع يمكن أن تمتد يوما اليك ، وتلحق بجمالك الفتان أى أذى ! ولكننى أتألم · فارحمينى · اما أن تكونى الآن لى ، واما أن أعصى أمر والدى فأذهب من فورى وألتحق بصفوف الجيش الأولى ، وأظل أقاتل حتى أموت !

فابتسمت نصف ابتسامة ساحرة وقالت :

ـ لن تموت · حياتك غالية عند والدك ، وهى أثمن عندى وأغلى !

وتملصت منه ، ومطت أعضاءها فى ليونة وئيدة مغرية . ثم هزت رأسها مستنفرة جدائل شعرها . فانسدلت الجدائل السوداء على وجهها الجميل وطوقته كما تطوق السحب صفحة القمر . فشخص اليها الشاب مفتونا . فعادت والتصقت به . وقالت له فى صوت ثابت غائر خفيض :

ـ سأكون لك الآن ، على شرط أن تطيعنى !

فحملق فيها مستفسرا ، وهم بأن يتكلم . ولكنها لم تمهله وأردفت :

ـ اذا شئت أن تظفر بى ،فيجب أن تكون قبل كل شىء انسانا ! اقهر فى نفسك الأنانية والاستهتار والقسوة . تجرد من حكم غرائزك الدنيا . تحلل من تأثير فطرتك الغاشمة . تنزه عن التقاليد الأثيمة التى درج عليها قومك . ثم انظر .. ألا ترى ؟ ألا ترى الظلم الذى يحيق بأبناء وطنى ؟ ألم تسمع صراخ الجيش وأنين الأسرى ؟ أيرضيك أن يقتل أولئك التعساء وهم عزل من السلاح ؟ أيرضيك أن يغتصب قومك نصف أرض بلادى ، ويمعنوا فى اضطهادها واذلالها وهى لم ترتكب فى حقهم أى ذنب ؟ تفوق على نفسك ياجالى ... دافع عن الحق والعدل والحرية ... انصر المظلوم على الظالم .. **وأرشدنى ، أرشدنى الى المكان الذى تعرفه حق المعرفة ، الى المكان الذى أخفى فيه والدك مفتاح أسوار المدينة ، مفتاح باب السور الرئيسى الذى يفضى الى قلب المدينة ، أمنحك روحى وجسدى مدى الحياة !**

فتأملها الشاب مذهولا . وظل يتأملهافترة ثم صرخ :

– تريدين النصر لفرعون ؟ تسعين لمجد بلادك وانقاذ مواطنيك من ويلات الحصار ؟ أمازلت مصرية القلب والروح وأنت هنا ؟ ولكنى لن أرضى . لا أرضى أنا السيد بأن أصبح عبدا . الحق للأقوى . والحق يقره الأقوى . والحرية نعمة لا يمكن أن يتمتع بها الا من كان أشجع وأقدر وأقوى . فاخنقى هذا الحديث فى صدرك يا امنريس ، واعلمى أنى لولا حبى العظيم لك ، ماترددت لحظة واحدة فى اغماد خنجرى فى عنقك !

فقالت امنريس وهى تتلوى :

– اذن فأنت ترفض ؟

فأجاب وهو ينطرح على مقعد :

– أرفض رحمة بك وابقاء عليك .

فدنت منه فى بطء ، وتفرست فيه ، وقالت :

– واذا كنت أنا الأقوى ؟

فرفع اليها بصره ساخرا وضحك . فقطبت حاجبيها ثم دنت منه أيضا ، ثم غافلته وانحنت عليه وأمسكت بكتفه .. وفجأة صوبت اليه عينيها الواسعتين المتقدتين ، ورددت فى صوت غائر أجش وهى تحدق فيه تحديقا ثابتا ممعنا دافقا عميقا :

– أنا ... أنا الأقوى ياجالى ..

وسلطت عليه نظرات مندلعة كالنار ، حادة كالسهام ، مرقدة ومذيبة كخمر ساحقة . ثم مدت يدها ، ومست جبينه بأصابعها ، وقالت وهي ما تفتأ تحدق فيه :

ـ نم ... أقول لك نم ... آمرك ... آمرك باسم آمون القاهر أن تنام ... آمــرك أن تنفصل بروحك عن جسدك وتنام ! ... باسم آمون الذى يقهر الشر ، وتبدد شمسه سحب الظــلام ، ويكتسح فيضــه كالنيل رمال الصحراء ، آمرك أن تنام ! .. يجب أن تنام .. أنت نائم .. أنت الآن نائم .. أنت الآن ملكى .. أنت الآن رهن اشارتى .. !

فجعل الشاب يغالبها وهو يتطوح . ولكنه لم يقــو عليها . لم يستطع أن يواجههــا . لم يجد فى عقله ولا فى ارادته ما يعينه على اتقاء لهب عينيهــا . فاختلج بالرغم منــه اختلاجا عنيفا ، وسقط رأسه على حــافة المقعد ، وراح فى سبات عميق . فانحنت عليه هادرة وقالت :

ـ تكلم الآن .. قل .. أين .. أين مفتاح الأسوار ؟ انه أمامك . وأنت تراه . فتكلم . أين هو ؟

فلبث يكافح بضع لحظات ، ثم غمغم فى صوت كأنه خارج من أعماق كهف :

ـ هنا .. فى مخدع والدى .. فى مخدعه الخاص .. فى جوف القاعدة الخشبية التى ينهض عليها التمثال الصغير . تمثال ملوك الرعاة !

فأبرقت عينا أمنريس ، وأرسلت صيحة فرح قاصفة ، واتجهت صوب أحد الأبواب ونادت :

ـ تامينا ... تامينا !

فلاحت الجارية مذعورة مهــرولة . فما أن أبصرتها أمنريس حتى ارتمت عليها وأهابت بها :

ـ الى القاعدة ... قاعدة تمثال ملوك الرعاة ... فى مخدع القائد ... المفتاح هناك . فارفعى التمثال فى رفق ثم انزعى المفتاح من جوف القاعدة ... ثم ردى التمثال الى موضعه ، واصعدى حالا الى سطح القصر ، واحملى المفتاح الى « رحيو » الذى عليه أن يتسلق الأســوار مسرعا ، ويسلم المفتاح الى أمين سر فرعون ! ... هيا ...

فبهتت الفتاة ، وألقت على الشاب النائم نظرة مستغربة . ثم لمعت عيناها وانطلقت من فورها الى الخارج وهى تعدو ..

- ٣ -

وكرت أمنريس راجعة ، وحدقت الى الشاب وارتجفت .. لا ... انه لن يموت ... لا ينبغى أن يموت .. ولكن أفى وسعها أن توقظه ؟ أفى مقدورها أن ترد اليه الحياة ؟ يجب ، يجب أن يستيقظ .. يجب أن يعلم ... يجب أن يدرك أنها كانت هى الأقوى !

واستنهضت كل قوى روحها ونفخت فيه .. استعانت بأقدر آلهتها وأفعل تعاويذها وأبلغ ما يكمن من علم وحزم فى لباب عبقريتها ، ثم مست جبين الفتى بأصابعها ، وسلطت عليه صفوة فكرها وايمانها وارادتها . فتحرك بغتة وتململ . ثم فتح عينيه الحالمتين الزائغتين ، ورفع رأسه ، وتطلع اليها ..

وأشرق وجهها . أما هو فلم يكد يبصرها حتى تنفس وابتسم .. ابتسم كالطفل المطيع . ابتسم كالحمل الوديع . فابتهجت امنريس وابتسمت هى أيضا . فبســط الشـــاب ذراعيه وقال وهو تائه :

ــ أين أنا ؟ بى صداع ·· ماذا وقع لى ؟ أنا فى شبه نشوة ·· هل شربنا خمرا ؟ أين كنت ؟

فقالت امنريس ضاحكة :

ــ كنت هنا ·· معى ·· لم تبرح مكانك ولم تشرب كأسا واحدة · مابك ؟ ·· أتشعر بدوار ؟ ربما كنت فد فكرت فى شىء أحزنك ؟

فقال :

ــ لا أذكر ··· لا أذكر شيئا ··· لا أظن ···

فملك الزهو أمنريس ، وأيقنت من سلطانها·· فأرادت أن تضاعف شعورها بهذا السلطان ، فصاحت بالشاب :

ــ أسرع الى بمرآتى ·· هاتها واجث أمامى · وابق جاثيا ريثما أضفر شعرى !

فهب واقفا ، وجاءها بالمرآة · ثم زحف اليها كالكلب وجثا عند قدميها ، وظل جاثيا وهى ترمقه بنظرة جانبية ، وتعقد لاهية جدائل شعرها ··

ولما رأته فى وضعه الزرى صابرا جامدا ، خاضعا ذليلا ، واستوثقت من قوتها وضعفه ، اشتد احتقارها له وحقدها عليه ، واشمئزازها منه · فنهضت واثبة وهمت بأن تطرده · وعندئذ ، وقبل أن تنبعث من شفتيها المتلويتين كلمة ، ترامت الى الحجرة صيحات بعيدة ، صيحات متقطعة ، صيحات مروعة مصحوبة بدوى أبواق وصفير سهام ودق طبول وصهيل خيول · فأصاخت امنريس السمع وهى ترتعش ، ثم قالت وقلبها يخفق :

ـ أتسمع ؟ أتسمع ياجالى ؟

ثم ومضت عيناها ، وانفجرت كوامن حقدها وصرخت :

ـ لقد هجم فرعون ! ان والدك لن يعـود الآن ، وقد لا يعود أبدا ! انها المعركة ! .. المعركة الفاصلة !

فقال الشاب وهو ينصت :

ـ لاشك انها قد بدأت منذ حين !

واقتربت الصيحات ، وتعـالت كأنها هدير الموج ، فارتج صرح القصر المجـاور للأسـوار ، وتجاوبت حوله الصرخات ، مختلطة مشوشة عاتية ، أشبه باندفاق سيل ، أو زمجرة رعد ، أو زئير غابة تتناحر فيها وحوش . فتلفت الشاب مضطربا حائرا وقال :

ـ ينبغى أن أذهب .. يجب أن ألحق بالجيش ..

فعاجلته المرأة بقولها :

ـ ماذاتنتظر؟ اذا كنت صادق الرغبة فى القتال فأسرع ..

فتقدم خطوة وغمغم مستجديا :

ـ أمضى ؟ هكذا ؟ وأنا بعد لم أظفر منك بأى شىء ؟

فقهقهت أمنريس قهقهة طويلة ، وقالت :

ـ أتفكر الآن فى نفسك ؟ أتريد أن تظفر بالمرأة أولا ؟ أتغلب نداء حبك على دعوة واجبك ؟ أهذه هى القوة التى كنت تفخر بها منذ لحظات ؟

فلم يحفل بكلامها ، واندفع نحوها ، وقال وهو ينتفض :

ـ قد أموت فى المعركة ! فلابد .. لابد أن أظفر بك يا أمنريس قبل أن أموت !

فصوبت اليه عينيها المتقدتين وقالت :

ـ وأنا ٠٠ أنا أريدك أن تبقى ! ٠٠ وأنت ، أنت نفسك تعتمد على شفاعة والدك القائد ، وتريد أن تفر من القتال وتبقى ! فابق اذن ٠ ولكن لا لتستمتع بل لتسمع ! أفاهم أنت ؟ سأمزق الغشاوة عن عينيك ، وأسر اليك نبأ يسجل ضعفك ، ويفضح رجولتك ، ويجعلك تلمس قوتى التى سخرت منها واستهنت بها ! فاسمع النبأ وانقله الى والدك ، وليكن مايكون !

ومالت اليه بجمعها ، وهمت بأن تتكلم ، ولجب المعركة يتدفق عليها ويصم أذنيها ويدوى حولها كبحر مصطخب !

ـ ٤ ـ

وفى تلك اللحظة ٠٠ فتح باب الصدر فى عنف ، وبرز منه القائد سالتيس ٠ فما أن أبصر الشاب والده حتى ارتعد وملكه الذعر ٠ فاندفع نحوه وقال :

ـ جئت أبحث عنك ! ٠٠ كنت أخشى أن يهجم فرعون الليلة فجئت لأنبهك ٠٠

فلم يكترث له سالتيس ودخل ٠٠ دخل البهو محدودب الظهر ، مشعث الشعر ، مخضب الوجه بالدم وملوث الصدر بالوحل والتراب ، وصاح بأسيرته وابنه وهو يرجف :

ـ أعدوا أمتعتكم ٠٠ وارحلوا ٠ ارحلوا حالا ٠٠ الى قصرى فى الصحراء ! لقد انهارت مقاومة جنودنا ، وزحف العدو ، وأصبحت جيوشه أمام الأسوار !

فخفق قلب أمنريس فرحا وزهوا ، وصرخ الشاب :

ـ انتصر فرعون ؟

فصاح القائد وهو يهدر :

ـ انتصر . ولكنه لن يدخل ! .. لن يدخل اليوم المدينة مهما حاول ! لن يدخلها الا وهى كومة من رماد ! سيحاصرها ولاريب أياما ، بيد أننا سنهدمها . سنحرقها . سنأتى على كل شىء فيها من انسان ونبات وحيوان ! لن يدخل اليوم فرعون المدينة مهما حاول !

فوثبت أمنريس كوحش مفترس ، وواجهت القائد شامخة متحدية ، وصاحت بأعلى صوتها :

ـ بل سيدخلها ! وسينفذ فيها كما ينفذ الخنجر فى قطعة من عجين !

فتحول اليها القائد مروعا مستنكرا ، ولكنها لم تمهله وردفت :

ـ ان فى يد فرعون الآن مفتاح الأسوار ! ... وأنا .. أنا التى اقتنصته .. أنا التى سرقته .. أنا التى انتزعته من ولدك هذا .. من ولدك .. أتفهم ؟

فوجم الرجل وجحظت عيناه . فاستطردت أمنريس كمعتوهة :

ـ لقد خانك ولدك وأحبنى ! خانك وأحبنى . فاستدرجته وأردت أن أعرف منه أين أخفيت أنت المفتاح ، ولكنه كان جبانا يحب حياته أكثر منى ، فخشى أن تقتله وأبى أن يهدينى .. ومع ذلك فقد انتزعت سره بالرغم منه ! أتدرى ماذا فعلت ؟ لم أنتصر عليه بمحاسنى .. لم أنتصر عليه

انتصارا رخيصا بوصفى أنثى ‥ كان ذلك فى وسعى ولكن الوقت كان يسرع وفرعون بالأبواب ٠ فقهرت ولدك بسحرى، بفنى ، بالعلم ‥ بعلم المصريين الذى لا يبارى ‥ نومته ‥ أتفهم ؟ أخضعته لارادتى ‥ فصلت النفس منه عن الجسد ، وهبطت الى أعماق روحه وانتزعت السر ! ‥ فهو ‥ هو الذى خانك مرتين وأرشدنى ! والمفتاح فى هذه اللحظة هناك ‥ فى يد فرعون ‥ انتقل من قاعدة التمثال الى يد **فرعون ! وسيدخل فرعون المدينة ‥ الآن ‥ سيدخل ممفيس الآن ، وينقذ أسرانا ثم يطبق عليكم ، ويفتن فى التنكيل بكم ، قبل أن تثأروا أيها المتوحشون من بلاده ورعاياه ! أما أنا فلن أفر معكم ! لن أتبعكم ! لن أبيح نفسى بعد اليوم لطاغية ! لم أعد أسيرة ! ‥ لقد تحررت ! ‥ فاقتلونى ‥ اقتلونى اذا شئتم ، فقد أديت واجبى !**

فألقى عليها الوالد والولد نظرات متربصة متحفزة ملؤها الحقد والكمد والبغض ٠ ولكنهما قبل أن يثبا بها ، وقبل أن تصمت هى وتلتقط أنفاسها ، تصاعدت من النافذة بغتة صرخات جنود فرعون وهم يدخلون المدينة من باب السور الرئيسى ، ويتدفقون على أحيائها هاتفين مهللين ٠ فطاش صواب الرجلين ، وجن جنونهما ، فانتزعا خنجريهما ، وانهالا بهما طعنا فى أمنريس ‥

وسقطت الشهيدة المصرية على الأرض ، وجاهدت ما استطاعت لتدنو من النافذة ٠ ولكن بدنها تصدع فجأة وهوى ٠ فلفظت أنفاسها الأخيرة وهى ترهف السمع الى تهليل الجنود ‥ وتبتسم !

صموئيل بيكيت

.. ذلك المجهول!

كتاب للناقد الطليعي

بيير ميليز



مصدر بمقدمة عن حياة « بيكيت » في سطور ، مع المقارنة بالأحداث الثقافية المعاصرة له ، في فرنسا والعالم

ماذا تعرف عن .. «بيكيت» ؟

عزيزى القارىء ..

منذ افتتح مسرح الجيب بالقاهرة عروضه (فى أول مقر له ، بشارع قصر النيل) بمسرحية « نهاية اللعبة » لصمويل بيكيت .. دخل مسرح اللامعقول ، وادب اللامعقول ، حياتنا الثقافية .. لكنهما دخلاها فجأة ، وبلا مقـــدمات ، ولا « خلفية » تنير أمام المتفرج أو القارىء سبيل تذوق هذا الأدب الغامض ، أو فى القليل فهمه ، أو فى أقل القليل «محاولة» فهمه !

وقد ساهمت (مطبوعات كتابى) منذ سـنوات فى التعريف بنموذج من نماذج أدب اللامعقول ، فقدمت لك فى عـــددها رقم (٧٠) الترجمة الكاملة لمسرحية « قاتل بلا أجر » للاديب الرومانى « أوجين يونسكو » الذى يؤلف بالفرنسية ، والذى يعد من أقطاب الادباء العالميين الذين يتزعمون هــذه المدرسة الحديثة ، وهم : « صمويل بيكيت » ، و « أوجين يونسكو » ، و « روب جرييه » و « ناتالى ساروت » (من الذين يكتبون بالفرنسية أو الانجليزية)، ثم « ماكس فريش » و « دورينمات » (من الذين يكتبون بالألمانية)..

والكتاب الذى يلخصه لك كتابى فيما يلى هو أحدث كتاب صدر فى فرنسا عن أدب صمويل بيكيت ، وحيـــاته . وقبل أن تقرأ هذا التلخيص الذى يبسط لك بعض سمات هـــذا الادب وصاحبه ، أقدم لك هــذا « الجدول » الزمنى الذى يعينك على الالمام بانتاج بيكيت وحياته فى ســطور ، كى تتيسر لك متابعة تطوره الادبى من خلال رواياته ، ومسرحياته ، وتمثيلياته الاذاعية، مع مقارنتها بأهم الاحداث الأدبية العالمية لغيره من الادباء المعاصرين له ..

حياة «بيكيت» .. فى سطور

(مع المقارنة بالاحداث المعاصرة له)

١٩٠٦ : مولده (فى العام الذى توفى فيه الفنان « سيزان »)

١٩٢٣ : التحاقه بكلية « ترينيتى » فى دبلن (فى العام الذى نشر فيه « جول رومان » روايته المشهورة « كنوك »)

١٩٢٨ : انتسابه الى مدرسة « النورمال » بباريس ، وتعرفه بالأديب « جيمس جويس » (فى العام الذى نشر فيه الاديب الفرنسى جان جيرودو روايته « سيجفريد »)

١٩٣٠ : نشر كتابه الأول Whoroscope

١٩٣١ : عين مساعد مدرس للغة الفرنسية فى كلية « ترينيتى » بدبلن. ونشر (دراسة عن « بروست »)

١٩٣٢ : استقال من عمله فى التدريس .

١٩٣٤ : نشر كتابه (More Priks than Kicks)

١٩٣٥ : نشر كتابه الثالث (Ecko's bones and other precipitates)

١٩٣٧ : استقر فى باريس .

١٩٣٨ : نشر في لندن كتابه الرابع (Murphy) (فى العام الذى نشر فيه « سارتر » روايته « الغثيان ») .

١٩٤١ : انضم الى حركة المقاومة ضد الاحتلال الألمانى (فى العام الذى توفى فيه « جيمس جويس ») .

١٩٤٢ : لجأ الى الاختباء من النازيين فى (فوكلوز) ، وترجم روايته « ميرفى » الى الفرنسية . (فى العام الذى أصدر فيه « البير كامى » قصته « الغريب »)

١٩٤٣ : ألف روايته الثانية Watt (فى العام الذى كتب فيه سارتر : « الوجود والعدم » ، وكتب « أنوى » : أنتيجون ، وكتب « كلوديل » : حذاء من حرير الساتان .

١٩٤٥ : عمل فى هيئة الصليب الاحمر فى ايرلندا ، ثم فى (سان لو) ، ثم عاد الى باريس (فى العام الذى توفى فيه « بول فاليرى » و « بارتوك » ، ونشر فيه ألبير كامى مسرحيته « كاليجولا »)

١٩٤٦ : نشر كتابه الجديد L'expulsé (في العام الذى نشر فيه « أوديبيرتى » مسرحيته Quoat-Quoat .

١٩٤٧ : نشر « ميرفى » بالفرنسية ، وكتب Eleutheria (فى نفس العام كتب جان جينيه : « الطيبون » ، وكتب برخت : « الاستثناء والقاعدة » وكتب كافكا « المحاكمة »)

١٩٤٨ : كتب ثلاثيته الروائية العظيمة : موللوى ، مالون يموت ، اللاسمى . ثم مسرحيته « في انتظار جودو »

١٩٤٩ : نشر « محاورات مع جورج دوتوى »

١٩٥٠ : كتب Textes pour rien (في نفس العام كتب « يونسكو » المغنية الصلعاء وكتب « أداموف » : المناورة الكبيرة والصغيرة ، وتوفى برنارد شو) .



بيكيت ، بريشة الرسام العالمى « أفيدور أريكا »

١٩٥١ : نشر : « موللوى » (فى نفس العام نشر يونسكو « الدرس » ، ونشر جورج شحادة « مسيو بوبل » .

١٩٥٢ : نشر « مالون يموت » ، و « فى انتظار جودو » (فى نفس العام

نشر يونسكو : ((الكراسى)) ، ونشر أداموف : ((التقليد الساخر)) .

١٩٥٣ : فى يوم ٣ يناير مثلت ((فى انتظار جودو)) لاول مرة على مسرح بابيلون . ونشر بيكيت ((اللامسمى)) و ((وأت)) ، وترجم ((جودو)) الى الانجليزية . (فى نفس العام نشر يونسكو : ((ضحايا الواجب)) ، ونشر أداموف : ((الاستاذ تاران)) و ((معنى الزحف)) ، ونشر ((روب جرييه)) : المحاوات Les Gommes (جمع ممحاة ، أى ((أستيكة))) .

١٩٥٥ : نشر ((أقاصيص)) ، و ((نصوص مقابل لاشىء)) و ((ثلاث



منظر من مسرحية ((نهاية اللعبة)) كما مثلتها على مسارح باريس ((كريستين تسانجو)) و ((جان أديه))

قصائد » (فى نفس العام نشر يونسكو : جاك ـ أو الرضوخ ـ ونشر أداموف : البنج بونج) .

١٩٥٦ : كتب « كل الذين يسقطون » ، و « نهاية اللعبة » . وأعيد تمثيل « فى انتظار جودو » على مسرح « هيبرتو » . (فى نفس العام كتب جان جينيه فى لندن : « الشرفة » وكتب يونسكو : « مقطوعة الألما المرتجلة ») .

١٩٥٧ : قدمت الاذاعة البريطانية يوم ١٣ يناير « كل الذين يسقطون » ، وفي ٣ ابريل عرضت في لندن لأول مرة « نهاية اللعبة » و « فصل بدون كلمات » ، ثم عرضت في ٢٧ أبريل في ستوديو الشانزليزيه بباريس . ونشر « نهاية اللعبة » و « كل الذين يسقطون » . وترجم « نهاية اللعبة » الى الانجليزية . وفي ١٤ ديسمبر قدمت الاذاعة البريطانية : « بقايا عمل مهجور » . (وفي نفس العام كتب شحاده : « فاسكو » ، وكتب يونسكو : « المستأجر الجديد » ، وكتب أداموف : « باولو باولو ») .

١٩٥٨ : فى ٢٨ اكتوبر حفلة العرض الاولى فى لندن لمسرحية « الفرقة الاخيرة » .. ونشر دراسته عن « الشعر المكسيكى » ، و « برام فان دى فيلد » (فى نفس العام نشر المؤلف المسرحى الاسبانى « أرابال » أول انتاجه المسرحى) .

١٩٥٩ : ترجم « الفرقة الاخيرة » الى الفرنسية ، وفى ٢٤ يونية قدمت له الاذاعة البريطانية تمثيلية « رماد » ، ثم ترجمها الى الفرنسية . (وفى نفس العام نشر يونسكو « قاتل بلا أجر » ، ونشر جان جينيه : « الزنوج ») .

١٩٦٠ : فى ٢٢ مارس حفلة العرض الاولى لـ « الفرقة الاخيرة » بمسرح ريكامييه ، ثم نشرها فى كتاب ، كما نشر « رماد » ، وترجم الى الانجليزية : « الذراع المحركة ، أو المانيفيللا » (فى نفس العام نشر يونسكو : « الخرتيت » ، ونشر كوكتو : « وصية أورفيوس » .

١٩٦١ : كتب « الايام السعيدة » . وفي ٢٥ فبراير عرضت له « كراب » أو « الفرقة الاخيرة » بعد تحويلها الى أوبرا غنائية . ونشر Comment c'est . وفي ١٧ سبتمبر حفلة العرض الاولى لـ « الايام السعيدة » في نيويورك . واعادة تقديم « فى انتظار جودو » بمسرح الاوديون بباريس . وفى هذا العام حصل بيكيت على الجائزة الدولية للمحررين . (وفى نفس العام نشر جان جينيه : « الحواجز » ، ونشر شحاده : « الرحلة » ونشر ادوارد ألبى : « قصة حديقة الحيوان » ، ونشر « روب جرييه » : « العام الماضى فى مارينباد ») .

١٩٦٢ : ترجم « الايام السعيدة » الى الفرنسية . وكتب « الملهاة » . وفى شهر يوليو كتب فى لندن : «فصل بدون كلمات ، رقم ٢» . وفى ١٣ نوفمبر قدمت الاذاعة البريطانية تمثيليته : « كلمات وموسيقى » . (وفى نفس العام كتب يونسكو : « الملك يموت »)

١٩٦٣ : فى ٢٥ يناير قدم التلفزيون الفرنسى : « كل الذين يسقطون » . وفى ١٤ يونية حفلة العرض الاولى لـ « ملهاة » بمسرح (أولم). وفى ١٣ اكتوبر قدمت له الاذاعة الفرنسية « كاسكاندو » . وفى ٢١ اكتوبر حفلة العرض الاولى لـ « الايام السعيدة » بمسرح الاوديون . ثم نشرها فى كتاب . (وفى نفس العام كتب يونسكو : « السائر فى الهواء » . وكتب روب جرييه : «نحو رواية جديدة» .. وتوفى جان كوكتو) .

١٩٦٤ : فى ١٤ يونية حفلة العرض الاولى لـ « ملهاة » فى مسرح «البافيون دى مارسان » . ونشر مسرحياته فى طبعة بثلاث لغات . (وفى نفس العام نشر ادوارد أولبى روايته الشهيرة : « من يخاف من فرجينيا وولف ») .

١٩٦٥ : فى أغسطس عرض فيلمه « فيلم » بمهرجان فينسيا ، فنال جائزة النقاد . ونشر « أيها الخيال الميت ، تخيل ! » . وفى أول نوفمبر : حفلة العرض الاولى لمسرحية « موللوى » فى

جنيف (فى نفس العـــام نشر يونسكو : ((الفجوة)) ، ونشر أوديبيرتى : ((أوبرا العالم)) . ثم توفى أوديبيرتى) .

١٩٦٦ : نشر : ((ملهاة ، وفصول متفرقة)) . وفى ٢٨ فبراير حفلة العرض الاولى لمسرحية ((ذهاب واياب)) بمسرح ((تياتر دى فرانس)) (وفى نفس العام نشر يونسكو : ((الجوع والعطش))) .

وبعد هذه المقدمة السريعة عن حياة ((بيكيت)) ، فى سطور .. تعال نقرأ معا عرضا لهذا الكتاب الممتع الذى صدر حديثا عن حياته وأدبه :



منظر من مسرحيـة ((نهـاية اللعبة)) كما مثلها ((روجيه بلان)) و ((جان مارتان)) علي مسارح باريس .

بيكيت ٠٠ ذلك المجهول !

عرض وتلخيص : فتحى العشرى

« بيير ميليز » Pierre Meleze **مؤلف هذا الكتاب ناقد طليعى مهتم بالمسرح ولا شىء غير المسرح ٠٠ وأبرز أعماله فى هذا الميدان كتابه عن « مسرح راسين »** Racine **الذى يقع فى خمسة أجزاء ٠**

يبدأ ميليز كلامه عن رائد مسرح « العبث » L' Absurde **بمقدمة موجزة يوضح فيها أهميـة مسرحية « فى انتظـار جودو »** En Attendant Godot **باعتبارها أول انطلاقة فى هذا المسرح الجديد وأول ضوء قوى يسلط على « بيكيت » ٠٠ ذلك المجهول !**

من أنت يا صمويل بيكيت ؟

تحت هذا العنـوان يورد المؤلف ترجمة وافية لحيـاة صمويل بيكيت فى قسم أول ، ثم يستعرض أعماله الروائية فى قسم ثان ، وفى قسم ثالث يتناول أعماله المسرحية ٠

أما حياته فقد بدأت فى وطنه ايرلندا عام ١٩٠٦ ٠٠ وبعد بداية حياته بعدة سنوات أخذ صمويل بيكيت ينتقل من مرحلة دراسية الى مرحلة دراسية أخرى ، حتي نال ليسانس الآداب الفرنسية فى سنة ١٩٢٧ ، وبعدها عين معيدا للغة الانجليزية بمدرسة المعلمين العليا بباريس ٠٠ **وعاد الى ايرلندا، الى مسقط رأسه ، ليجد أحد المتشردين في انتظاره ، بخنجر ٠٠ وفجـأة ، وبلا مبرر ، أغمد المتشرد سكينه فى صـدر بيكيت الذي أسعف بأعجوبة ، ردت اليه الحياة ٠٠ وبعد أن**

عاد بيكيت الى الحياة صمم على أن يزور هذا الشرير فى سجنه ليسأله : « لماذا فعلت ذلك ؟ » ٠٠ ولم يتلق ردا غير هذه العبارة : « لا أدرى » ٠٠ ومن يومهـــا أحس بيكيت بعبثية الحياة و « لا معقولية » الوجود ٠٠

٠٠ واشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية ، فرجع بيكيت الى باريس واشترك فى المقاومة ، لا حبـا فى باريس ولكن كراهة فى النازية وكل ما هو معاد للحياة والانسان ٠

واتخذ بيكيت من فرنسا موطنا ثانيا يعيش فيه حتى الآن ٠٠ وفى هذا الموطن الثانى اشـــتغل مزارعا فى أحد الحقول ، ثم مترجما لأعمال جيمس جويس ، ثم مؤلفا تظهر مؤلفاته فى الأسواق وتمثل فى المسارح ، ويعيش عليها منذ عام ١٩٥٠ حتى يومنا هذا ٠٠ فبيكيت مؤلف لا عمل له غير التأليف ، وغير العناية بحديقة بيته الذى يعيش فيـه مع زوجته الفرنسية « سوزان » ، بغير أطفـــال ، وبمعزل عن الناس ، وعن الأضواء ، وعن شهرته التى ملأت الدنيا !

وأما أعماله الروائية فقد سبقها انتاج وفير من القصائد الشعرية التى كتبها بيكيت باللغتين الانجليزية والفرنسية ، هذا فضلا عن مجموعة من القصص القصـــيرة والكتابات النقدية ٠٠ وفى سنة ١٩٣٨ كتب بيكيت أولى رواياته الطويلة « **مورفى** » Murphy ، باللغة الانجليزية ، لكنها ظلت لعدة سنوات فى مخازن مكتبات لندن لا تباع ولا تشترى ، الى أن ترجمها بيكيت بنفسـه الى الفرنسـية عام ١٩٤٧ ، فوجدت طريقها الى البيع والشراء ٠ ثم كتب روايته الثانية « **وات** » Watt التى لم تترجم من الانجليزية الى أية لغة أخرى ٠٠ وبعد هاتين الروايتين كتب بيكيت روايتين أخريين بالفرنسية أهملهما ولم يكملهما حتى الآن ٠٠ هاتان الروايتان

هما « مرسييه وكامييه » Mercier et Camier و « الحب الأول » Premier Amour .

أما المرحلة الزمنية الواقعة بين عامى ١٩٤٦ و ١٩٥٠ فهى الفترة التى شهدت ثلاثية بيكيت الروائية العظيمة : « موللوى » و « مالون يموت » و « اللا مسمى » .



« صمويل بيكيت » يطل من غلاف الكتاب الذى يتحدث عنه

الحرية !

وبعد هذه الثلاثية اتجه بيكيت كلية الى المسرح ، حيث بدأ بكتابة مسرحيـــة من ثلاثة فصــول اسـمها « **الحرية** » La Liberté ، لم تنشر ـ بناء على رغبة بيكيت ـ حتى الآن. غير أن « بيير ميليز » مؤلف هذا الكتاب يورد تلخيصا وافيا لها كما يذكر مشهدا قصيرا منها :

ساحة كبيرة فى باريس ، الساعة الثالثة بعد الظهر ، فى يوم من أيام الشتاء .. خلال الفصول الثلاثة يتحرك على المسرح ١٧ ممثلا يقوم كل منهم بأداء دور متباين .. الحدث المسرحى يدور حول شـــاب قرر أن ينفصـــل عن أسرته البورجوازية التى تسمى أسرة كراب .

تبدأ المسرحية بهذا المشهد :

مستر كراب : اذن تناول سيجارة .

دكتور بيوك : شكرا .

مستر كراب : شكرا بنعم أم شكرا بلا ؟

دكتور بيوك : لا أدخن .

(فترة صمت)

مدام ميك ومدام بيوك معا : أنا ...

مدام ميك : أوه ! عذرا . كنت ستقولين ؟

مدام بيوك : أوه ! لا شىء . عاودى حديثك ، أرجوك .

(فترة صمت)

... بعدها تدخل المسرحية فى علاقات عائلية لا تهم المشـــاهد أو القارىء . أما فيكتور ابن أسرة كراب ، فلا يتدخل فى شىء ولا يتكلم الى أحد وانما يظل طوال الوقت شاردا لا عمل له غير التـأمل والتفكير .. ويحـاول الجميع أن يجذبوه اليهم أو يدفعوه الى تفسير موقفه وتبرير انطوائه

ولكن دون جدوى .. حتى خطيبته تفشل فى أن تحرضه على الكلام .. وتنتهى المسرحية بفيكتور يقف وحده على المسرح وقد أعطى ظهره للجمهور أو بالأحرى للمجتمع .

وقد تحمس **جان فيلار** لتقديم هذه المسرحية على خشبة المسرح القومى الشعبى بباريس ، بعد اختصارها الى فصل واحد ، ولكن بيكيت رفض هذا الشرط .. فأصبح تقديمها أو حتى نشرها أمرا مستحيلا .

فى انتظار جودو !

ومن هنا كانت البداية الحقيقية لمسرح بيكيت هى مسرحيته الشهيرة « فى انتظار جودو » .

والغريب أن بيكيت لم يكلف نفسه عناء عرض هذه المسرحية على أحد المخرجين أو الناشرين ، الى أن تعرفت زوجته الى المخرج **روجيه بلان** وقدمت له المسرحية ، وما أن قرأها حتى أعجب بها وقرر أن يقدمها فى ٣ يناير ١٩٥٣ ، بعد أن حصل على تصريح من جان مارى سورو بأن يفتتح مسرح (بابيلون) الصغير بهذه المسرحية التى كان عرضها حدثا فنيا تحمس له المؤيدون وتحمس ضده المعارضون ، وانقسم حوله النقاد وما زالوا فى انقسام غريب حتى اليوم ..

نهاية اللعبة !

وبعد ثلاث سنوات من تقديم مسرحية « **فى انتظار جودو** » ـ تلك المسرحية التى جعلت من اسم بيكيت شيئا كبيرا فى عالم المسرح الجديد ـ قدمت مسرحيته الثانية «**نهاية اللعبة**» Fin de Partie التى أخرجها نفس المخرج روجيه بلان .. ولكن هذه المسرحية لم تحقق من النجاح ما حققته مسرحية « فى انتظار جودو » ، ذلك لأن

شيئا لا يحدث على الاطلاق فى المسرحيـــة ، كما أن أحدا لايتحرك أبدا ، وذلك على عكس مارأيناه فى مسرحية «جودو» ٠

الشريط الأخير !

وبعد سنتين من تقديم هذه المسرحية الثانيـــة قدمت مسرحية ثالثة لبيكيت فى لندن أولا ، ثم فى نيويورك بعـد ذلك ، وأخيرا فى باريس ٠٠ ولقد كتب بيكيت هذه المسرحية بالانجليزية ثم عاد وترجمها بنفسه الى الفرنسية ٠ وعنوان المسرحية « **الشريط الأخير** » Krapp,s Last Tape ٠٠ وهى مسرحية من فصل واحد ، فصـــل قصير ، لا يظهر فيه غير شخص واحد ، شخص واحد فقط هو رجل طاعن فى السن يقضى حياته فى الاستماع والاستمتاع بشريط كان قد سجله فيما مضى ٠

وكعادته دائما يذكر بيكيت فى بداية المسرحية تفاصيل خاصة بالاخراج والديكور والملابس والاضاءة ٠

فى مقدمة المسرح ، وفى الوسط ، توضع مائدة صغيرة لهـا درجان يفتحـان ناحية الصالة ٠ يجلس « كراب » فى مواجهة الصالة مرتديا بنطلونا قصيرا جدا « وجيليه » أسود له أربعة جيوب واسعة ، وفوق البنطلون يرتدى قميصـا أبيض وفى يده يضع ساعة فضية ٠

يلاحـــظ أن اسم الرجل « كراب » وهو اسم اسرة فيكتور بطل مسرحية « الحرية » ، وهو الاسم الانجليزى الذى يفيد معنى سمكة « الكابوريا » ٠

وما حدث فى « **جودو** » وفى « **نهاية اللعبة** » يحدث فى « **الشريط الاخير** » ٠٠ يرتفـع الستار عن كراب وهو يخرج من أحد أدراج المائدة شريطا مسجلا ومن الدرج الثانى اصبعا

من الموز يأكله ويلقى بالقشر على الأرض ، ثم لا يلبث أن يركله بقدمه نحو الصالة ، وبعد قليل يخرج اصبعا ثانيا يضعه فى أحد جيوبه .. ثم يقف ويتجه نحو مؤخرة المسرح، ولا يلبث أن يعود .. وأخيرا يفتش عن شريط خاص من بين الأشرطة العديدة الملقاة أمامه ، الى أن يعثر عليه ، فيضعه فى جهاز التسجيل ويديره ، ثم يقف ليستمع الى الحوار الدائر بين كراب الشاب وكراب الطاعن فى السن .. وفى أثناء دوران الشريط يتحرك كراب عدة مرات نحو مؤخرة المسرح ثم يعود بزجاجات يشربها ، وأصابع موز يأكلها ، ومن حين لآخر يتحدث مقاطعا الشريط ومتدخلا فى الحوار الدائر ..

وأخيرا يسدل الستار على كراب الصامت بلا حراك وهو ينظر أمامه فى الفراغ ، والشريط لا يزال دائرا ولكن فى صمت ، وبدون كلام .

ممثل واحد وصوتان مختلفان ، أو مونولوج مزدوج يغطى فترة زمنية طولها ثلاثون عاما كاملة . والدراما هنا تقوم على عجز الذاكرة أمام قوة الزمن .. الزمن الضائع .. الزمن الذى تغنى به الشاعر الرومانسى لامارتين ، والذى عاد بيكيت ليضعه موضع المأساة .

والجديد الذى يذكره المؤلف بصدد هذه المسرحية هو أنه بعد ثلاث سنوات من تقديم « **الشريط الأخير** » على المسرح قام المايسترو « مارسيل ميبا لوفيش » باعداد أوبرا مقتبسة عن هذه المسرحية عزف ألحانها أولا كونشرتو باريس ثم قدمها مسرح (بيلفيلد) بألمانيا ، وبعد ذلك قدمها مسرح الأمم بباريس .

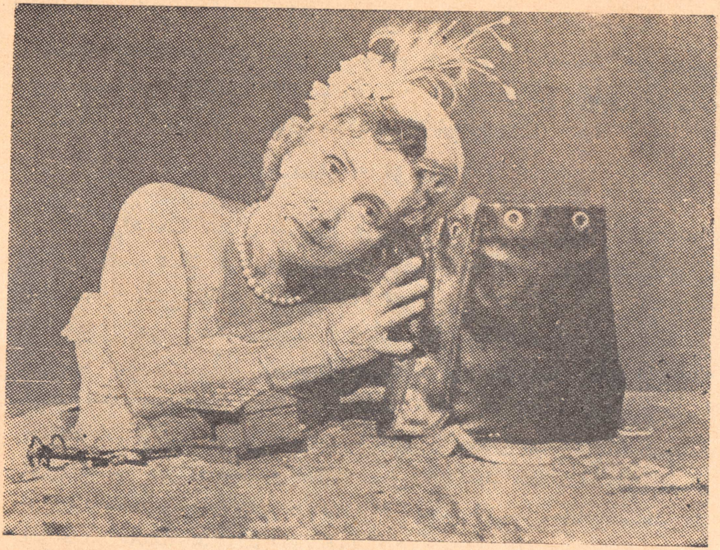
الأيام السعيدة !

كتب بيكيت هذه المسرحية سنة ١٩٦١ بالانجليزية ، وعرضت فى نفس العام فى نيويورك ، ثم فى باريس بعد ذلك فى سنة ١٩٦٣ ، بعد أن ترجمها بيكيت بنفسه الى الفرنسية ٠٠ وقد قام باخراج المسرحية « روجيه بلان » الذى أصبح متخصصا فى تقديم مسرح بيكيت ٠ أما الدور الرئيسى فى المسرحية فقد قامت بأدائه الممثلة العبقرية « مادلين رينو » زوجة المخرج العبقرى « جان لوى بارو » ٠

و « **الأيام السعيدة** » Happy Days مثل «**الشريط الأخير**» تمثلها شخصية واحدة فقط خلال مونولوج طويل أيضا ٠٠ ولكن المسرحيــة الأولى على عكس الأخيرة تقع فى فصلين ٠٠ وبينما يتحدث كراب الى نفســه فى « الشريط الأخير » تجد « وينى » ـ بطلة « الأيام السعيدة » ـ فى زوجها « ويلى » مستمعا صامتا لا يجيد سوى الاستماع ٠٠

والمسرحية تدور فى صحراء كتلك الصحراء اللا انسانية التى دارت فيها مسرحية « **جودو** » ، وهى الصـــحراء التى كان ينظر اليها « هام » بطل مسرحية « **نهاية اللعبة** » ، على أنها بداية الكون ونهايته ٠

والجديد فى مسرحية « **الأيام السعيدة** » حقا هـو دور البطولة الذى تقوم به شخصية نسائية لأول مرة ، (على عكس ما حدث فى مسرحيات بيكيت الســابقة حيث لم تظهر الشخصيات النسائية الا لتــؤدى دورا ثانويا) ٠ أمــا الشخصيات أو الموضوعات الرئيسية فى « الأيام السعيدة» بصفة خاصة ـ وفى مسرح بيكيت بوجه عام ـ فهى : الصمت الالهى ، عجز الانسان أمام الطبيعة ، فقدان الصلة بين البشر ،



مشـــهد من مسرحية « الايام السـعيدة » كما مثلته النجمـة الفرنسية « مادلين رينو » على مسارح باريس

تحلل العقل والمادة جميعا ، الشعور بالضيق والاختناق بإزاء القيم الاجتماعية .. و «الأيام السعيدة» مسرحية «انسانية»، على الرغم من كل ما قد يبدو فيها من مخالفة لمعنى الانسان .. أليست تلك هي حياة الانسان .. أي انسان .. الانسان الذي اذا ما أحس ببقية في قوته الجسدية أحس على الفور بدنوه من القبر ؟!

وعلى ذلك فهذه المسرحية ، من بين سائر مسرحيات

بيكيت ، هى اكثرها احتواء على معانى الرومانسية ، لما تنطوى عليه من شعر أو شاعرية ، ولما تتضمنه من حس أو احساس بالذات الانسانية .. احساس أقوى من أى احساس غيره عند أبطال بيكيت الآخرين .

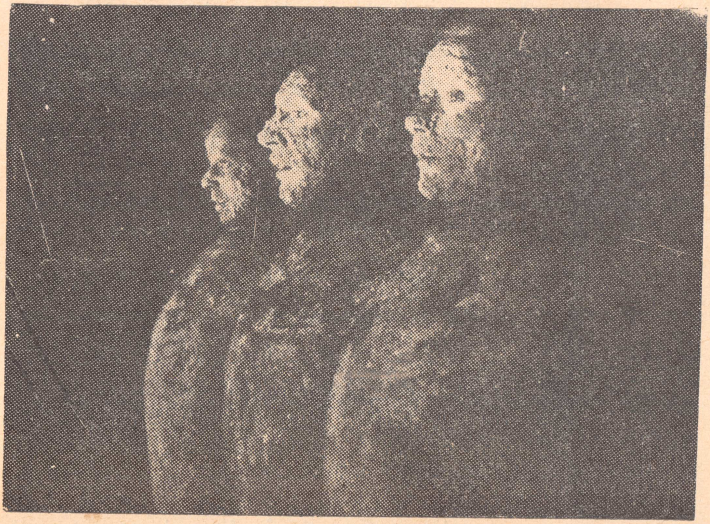
كوميديا .. أو ملهاة !

واحدث أعمال بيكيت هى مسرحية «كوميديا» Comédie التى تقدم عملا فيه من الجدة بمقدار ما فيه من الصورة التقليدية التى تضع الرجل بين امرأتين : احداهما هى الزوجة والأخرى هى العشيقة .. أما الزوجة فتشك فى اخلاص زوجها لها .. وأما العشيقة فتعتقد أن عشيقها يهتم بزوجته أكثر مما يهتم بها ! ... ويستطيع الزوج أن يرضى زوجته ويبدد شكوكها ، فى الوقت الذى لا يقدر فيه على تبديد قلق عشيقته المستمر والذى يصل الى حد مطالبته بالانفصال عن زوجته ! .. وفى النهاية لا يجد الرجل حلا أسعد من الرحيل بعيدا عن المرأتين معا .. فتحزن الزوجة ، بينما تستسلم العشيقة للأمر الواقع ! .. ويقول الرجل فى نهاية المسرحية : « لقد عرفت الآن كل شىء .. عرفت أن هذا كله لم يكن الا (كوميديا هزلية) » .

ونلاحظ أن بيكيت فى هذه المسرحية يضع كلا من شخصياته الثلاث داخل جرة تشبه صندوق القمامة الذى سبق أن وضع فيه كلا من الزوجة والزوج فى مسرحية « **نهاية اللعبة** » . وهو يرمز بهذا الى الانسان الملقى كالقمامة فى سجن قذر لا يملك أن يخرج منه أبدا .

وفى هذه المسرحية لا يسمى بيكيت شخصياته ، ولكنه يكتفى بأن يطلق عليها رموزا هى (م١) و (م٢) و (ر) أى

المرأة الأولى والمرأة الثانية والرجل . وهو يفعل هذا ليؤكد أن الهدف من المسرحية ليس تصوير شخصيات معينة ، لأن هذه الشخصيات انما تغلب عليها صفة العموم ، بحيث تمثل الأنماط الثلاثة التقليدية : الزوج والزوجة والعشيقة، وكل منهم يتمادى فى مونولوج داخلى يختلط أحيانا بالمونولوج الداخلى الذى تجريه كل من الشخصيتين الأخريين، ولكن دون أن يتخذ شكل الديالوج بأى حال من الأحوال، فهم لا يدخلون فى حوار ولا يلتقون على وجهة نظر واحدة ،



مشهد من مسرحية «ملهاة» ، أحدث مسرحيات « بيكيت » ، كما مثلت على مسرح « ناشونال » بلندن .

لأن كلا منهم له وجهة نظره الخاصة التى ينطلق منها فى بناء مونولوجه الخاص .

ذهاب واياب !

وهى مسرحية « قصيرة جدا » كما يطلق عليها بيكيت نفسه ، فهى تستغرق دقيقتين ونصف دقيقة على المسرح ، ولكنها تعطي نفس الاحساس الدرامى المشحون الذى نجده فى المسرحيات الطويلة .

ولكن ما الذي تعرضه هذه الدقائق القصيرة ؟

ثلاث سيدات يجلسن على أريكة ، تضع كل منهن باروكة على رأسها ، ومعطفا طويلا جدا على جسدها .. الأولى ترتدى معطف بنفسجى اللون ، والثانية معطفا أحمر ، والثالثة أصفر .. وفى كل مرة تخرج فيها واحدة منهن تظل الاثنتان الأخريان تتحدثان عنها حديثا هامسا لا نسمعه ولكنا ندرك من حركاتهما أنه حديث مروع . ولقد سميت المسرحية باسم « **ذهاب واياب** » **Va et Vient** اشارة الى ذهاب أو خروج كل منهن ثم عودتها مرة ثانية .

٥ تمثيليات اذاعية

بعد أن كتب بيكيت « فى انتظار جودو » وبينما هو يكتب « نهاية اللعبة » اتفقت معه الاذاعة البريطانية على كتابة تمثيليات اذاعية خاصة بها .. وبالفعل كتب بيكيت فى سنة ١٩٥٦ تمثيلية « **كل الذين يسقطون** » All That Fall وأهم ما يميز هذه التمثيلية أنها تكاد تكون العمل الوحيد من بين سائر أعمال بيكيت الذى يحدد فيه مكانا للأحداث الجارية ، والمكان هنا هو قرية (فوكسروك) بايرلندا .. موطن الكاتب .. كما أن التمثيلية تتميز كذلك

بكثرة الشخصيات ، على غير العادة فى سائر أعمال بيكيت ، بحيث تصل فى هذه التمثيلية الى عشر شخصيات !

والجدير بالذكر أيضا أن هذه التمثيلية هى العمل الوحيد لبيكيت بالاضافة الى تمثيلية « **رماد** » Cendre اللذان يترجمهما الى الفرنسية شخص آخر غيره .. هو فى الحالتين « روبير بانجيه » أحد الرواد المعروفين فى مدرسة الرواية الجديدة .

وفى سنة ١٩٦٣ نقل «ميشيل ميترانى» هذه التمثيلية الاذاعية الى التليفزيون الفرنسى تحت اشراف بيكيت . وقد فازت بجائزة « ألبير أوليفييه » لأحسن عمل تليفزيونى خلال ذلك العام .

بقايا عمل مهجور !

بعد نجاح تمثيلية « **كل الذين يسقطون** » طلبت الاذاعة البريطانية من بيكيت كتابة تمثيلية أخرى ، وبالفعل كتب بيكيت تمثيلية أخرى ، فى نفس العام ، بعنوان « **بقايا عمل مهجور** » لم يترجمها أحد الى الفرنسية حتى الآن .

ولعل أهم ما يميز هذه التمثيلية عن غيرها من أعمال بيكيت هى أنها تقدم شخصية واحدة فى مونولوج داخلى متصل لا بداية له ولا نهاية .. أما المونولوج فيحكى أشياء غير مفهومة ولا مرتبة ، وليست لها أية معالم ولا تعطى الاحساس بأى معنى على الاطلاق !

رماد وموسيقى وكلمات !

بعد تقديم « بقايا عمل مهجور » بسنتين عادت الاذاعة البريطانية لتطلب الى بيكيت أن يكتب لها تمثيلية ثالثة . وحدث أن كتب بيكيت تمثيلية « **رماد** » التى ترجمها

الى الفرنسية فيما بعد « روبير بانجيه » وهو نفسه الذى قام بترجمة « **كل الذين يسقطون** » من قبل .

وبعد ثلاث سنوات من تقديم « رمـــاد » كتب بيكيت للاذاعة البريطانية كذلك تمثيلية رابعة باسم « **موسيقى وكلمات** » Music And Words .. أما هـذه التمثيلية فقـد قام بيكيت نفسه بترجمتها الى الفرنسية .

كاسكاندو !

وفى سنة ١٩٦٣ كتب بيكيت آخر تمثيلياته الاذاعية حتى الآن وأول تمثيلية للاذاعة الفرنسية وهى « **كاســكاندو** » Cascando، وتعد هذه التمثيلية من الاعمال النادرة التى كتبها بيكيت بالفرنسية مباشرة . وقد أخرجها للاذاعة « روجيه بلان» ، مخرج مسرحيات بيكيت ، واشترك فى تمثيلها «جان مارتان » .

على أن الصفة الغالبة التى تجمع بين هذه التمثيليـات الاذاعية الخمس هى استغراق أبطالها جميعاً فى مونولوجات داخلية غريبة تحكى عن ماضيهم الضائع الذى ينعونه ولايجدون ما يصله بالحاضر .. ذلك الحاضر الضائع هو الآخر ، والذى يسلمهم الى اليأس والعدم .

تمثيلية للتليفزيون

أما « **تكلم ياجو** » Dis Joe فهى التمثيليـــة الوحيدة التى كتبها بيكيت للتليفزيون .. وهى تبـين مدى اقتناع بيكيت بأن التليفزيون وســيلة حية من وســائل العرض الجماهيرى الواسع النطاق ، البالغ الأثر .. كما تبين مدى دراية بيكيت بتكنيك العرض التليفزيونى والتسجيل والاخراج والتصوير الذى يسبق العرض .

والتمثيلية تقدم شخصيتين فى أداء واحد مزدوج ، فالرجل الذى يظهر فيها ، صامت لا يتكلم ٠٠ والمرأة التى تتكلم لا تظهر على الشاشة مطلقا !

هذا وقد كتب بيكيت الى جانب أعماله الروائية ومسرحياته الطويلة والقصيرة وتمثيلياته الاذاعية والتليفزيونية مسرحيتين قصيرتين بدون حوار ٠٠ تحمل الأولى عنوانا طويلا هو « **فصل بدون كلمات رقم ١** » Acte Sans Paroles N. 1 وتحمل الثانية عنوانا مماثلا هو «**فصل بدون كلمات رقم ٢**» والمسرحيتان صامتتان يؤدى فيهما التمثيل الصامت دورا رئيسيا بل يؤدى كل شىء ٠

ولقد قدمت المسرحيتان فى فيلمين للعرائس عرضا خلال مهرجان (أنيسى) للسينما عام ١٩٦٥ ٠

فيلم سينمائى ٠٠ بالاشتراك مع « يونسكو »

واستكمالا لمناحى النشاط الأدبى والفنى التى يمارسها بيكيت ويبرع فيها جميعا ، كتب سيناريو صامتا هو الآخر يستغرق ٢٢ دقيقة ، أخرجه « الان شنيدر » ، وعرض فى مهرجان فينيسيا عام ١٩٦٥ ففاز بجائزة النقاد ٠٠ ثم عرض فى المهرجان الدولى للأفلام القصيرة بـ (تورس) عام ١٩٦٦ ففاز بجائزة خاصة من لجنة التحكيم ٠

والفيلم اسمه «فيلم» Film وقد قام بدور البطولة فيه الممثل الكوميدى الراحل « بستر كيتون » ٠

وهذا « **الفيلم** » هو فى الحقيقة عبارة عن الجزء الأول من فيلم يستغرق عرضه ساعة ونصف ساعة ، ويشترك فى كتابة جزئه الثانى « **هارولد بنتر** » بينما يكتب جزءه الثالث والأخير « **أوجين يونسكو** » ٠

وقد صادف أن التقى المؤلفون الثلاثة حول رؤية واحدة دون أن يعلموا بذلك من قبل .. فبيكيت اختار « العين » موضوعاً للسيناريو الخاص به ، واختار بنتر « علبة » ، بينما اختار يونسكو « بيضة » .

ويحاول المؤلف أن يخلص الى مفهوم عام عن بيكيت يبدأه بهذه العبارة لجيمس جويس : « **هل تجدون عباراتى غامضة ؟ ان الغموض فى نفوسنا وليس فى الأشياء ، أليس هذا هو رأيكم أنتم الآخرون ؟** » .

وجيمس جويس كما هو معروف أستاذ بيكيت ومثله الأدبى الأعلى ، وهو الذى منحه مفتاح سر الأدب ، و «الخريطة» التى يهتدى بها في عوالمه الغامضة .. ولعل أهم ما أخذه بيكيت عن جويس هو هذا الغموض الذى مضى فيه حتى النهاية .. وهى النهاية التى أفضت به الى ما اصطلحنا على تسميته بأدب العبث أو اللا معقول !

نصوص ووثائق

أما الجزء الأخير من الكتاب فيحتوى على صفحة من مسرحية « **ملهاة** » مكتوبة بخط بيكيت .. ثم بعض الملاحظات التى ذكرها بيكيت عن عدد من مؤلفاته ، وهى ملاحظات شحيحة نظرا لما عرف عن بيكيت من صمت بل وصمت تام ، سواء بازاء فنه هو أو بازاء الفن على الاطلاق . فعند بيكيت أن الصمت أبلغ تعبير لدى الفنان ، لأن الفنان ليس عليه الا أن يقدم أعماله ، أما الحديث عن هذه الأعمال فمتروك للآخرين ، نقادا كانوا أو قراء أو مشاهدين ..

وتطالعنا بعد ذلك فى الكتاب الرسائل التى تبادلها بيكيت مع المخرج « الان شنيدر » بشأن مسرحية « نهاية

اللعبة » ٠٠ كما تطالعنا كلمات قالها المخرجون الذين تولوا اخراج مسرحيات بيكيت ، وهم : «روجيه بلان» و «جان — مارى سورو » و « ألان شنيدر » و « آلان سمسون » ٠٠ وكلمات أخرى قالها اثنان من أبرز الممثلين الذين أدوا أدوارا رئيسية فى مسرحياته وهما « مادلين رينو » « ولوسيان رامبورج » ٠٠ وكلمة أخيرة لواحد ممن وضعوا الموسيقى التصويرية لمسرحياته وهو « مارسيل ميبالوفتش » ٠

بانوراما نقدية !

أما هذا الجزء الختامى من الكتاب فيحتوى على مقتطفات من الدراسات والملاحظات النقدية التى كتبها عدد من النقاد المعروفين ، سواء عن أعمال بعينها لبيكيت أو عن فنه بصفة عامة ٠٠ وأهم هؤلاء النقاد : « موريس نادو » و « جابرييل مارسيل » و « جاك لومارشون » و « جان-جاك جوتييه » و « روبير كانتر » ٠٠ ثم كلمة طريفة لأوجين يونسكو ٠

وأخيرا يختتم « بيير ميليز » كتابه عن بيكيت ببيان تواريخ العروض التى قدمت لأعمال بيكيت جميعا ، وأماكن عرضها ٠٠

وبذلك ينتهى هذا الكتاب القيم الشامل الذى يخرج منه القارىء بفكرة عريضة وموضوعية وواضحة عن حياة وفن رائد « العبث » صمويل بيكيت ٠

ولا يبقى بعد هذا كله الا أن يترجم هذا الكتاب الى لغتنا العربية حتى تتاح الفرصة عريضة وواسعة أمام عدد أكبر من قراء العربية ليتعرفوا على رائد مسرح اللامعقول ، أو بيكيت ٠٠ ذلك المجهول !

العدد القادم

عدد خاص من « مطبوعات كتابى »

تستهل به سلسلتها الجديدة الرائعة

مكتبة التراث العالمى للشباب

يتضمن احدى شوامخ القصص الطويلة الخالدة ، لروائى من أعظم أدباء العالم فى جميع العصور ، مترجمة فى القالب الذى يلائم القارىء العصرى ، ويعرف الشباب بتراث العالم من القصص الطويلة التى ترجمت الى جميع اللغات ، والتى لا يليق أن يجهلها قارىء مثقف .

مترجمة بقلم : حلمى مراد

اقرأ الفقرة التالية من الرواية القادمة ، وحاول ان تعرف منها اسم الرواية ، واسم المؤلف ، وارسل الينا استنتاجك ، فقد تحصل على اشتراك مجانى فى كتابى ومطبوعاته لاثنى عشر عددا :

((العائلات السعيدة كلها تتشابه أسباب سعادتها .. اما العائلات الشقية فأن لشقاء كل منها سببا خاصا يختلف عن أسباب شقاء غيرها ؟ .. وقد كان كل شىء مضطربا فى اسرة (....) فالزوجة تكشف لها ان زوجها على صلة أثمة بفتاة فرنسية كانت تعمل مربية عند الاسرة ، وقد صارحته بهذا النباء وأفهمته انها لن تستطيع الاستمرار في العيش معه تحت سقف واحد .. وهكذا تحرج الموقف بينهما ، وأستمر كذلك ثلاثة أيام ، أدرك خلالها كل افراد الاسرة ، والخدم ، استحالة استمرار الحال على هذا المنوال . كانت الزوجة معتصمة بمخدعها لاتبرحه ، بينما الزوج لم يعد يأوى الى المخدع منذ بدأت الازمة .. وانتهز الاطفال هذه الفرصة فأخذوا يعيشون فى البيت فسادا وضاقت بهم المربية ..))

ارسل ردك فورا ، فقد تفوز بالجائزة .



مصدرة بدراسة عن حياة مؤلف القصة
«فرانسوا مورياك» ، وتعريف بأدبه ومؤلفاته

من هو موریاك ؟

بقلم : المحرر

● بعد وفاة « أندريه موروا » منذ شهور ، لم يكد يبقى على قيد الحياة من شيوخ الأدب الفرنسى فى هذا القرن سوى « فرانسوا موریاك» ، الذى يجتاز هذه الايام عامه الثالث والثمـانين ، وما يزال يمارس الكتابة بنشاط ، فينشر « يومياته » المشهورة كل اسبوع بانتظام فى العدد الاسبوعى من صحيفة « الفيجارو الأدبية » .

ورغم موجات الشك ، والالحاد ، والفلسفة الـوجـودية وتيارات القلق ، والعبث ، « واللامعقول » التى تعم الأدب الفرنسى ، وتتلاحق - موجـة فى اثر موجـة - منـذ انتهاء الحرب العالمية الثانية .. فان « مـوریاك » ، الكاتب المتـدين ، أو « الـكاتب الكاثوليكى الاول فى فرنسا » كما يطلق عليه ، قد استطاع أن يحتفظ بمكانته « ويصمد » فى وجه كل تلك التيارات والموجات صمودا يحسد عليه !

وقد ولد موریاك فى مدينة بوردو ، عام ١٨٨٥ ، لأسرة تنتمى الى الطبقة المتوسطة ، ونشأ فى بيئة كاثوليكية ، كما بدأ تعليمه فى مدرسة للجزويت - اليسوعيين - ثم التحق بمدرسة ثانوية من مدارس الليسية، ومنهـا انتقل الى جـامعة بوردو ، فجـامعة باريس .. وفى عام ١٩٠٩ أصدر مجموعة من قصائد الشعر يدور أكثرها حول الصراع بين عواطف الانسان ومبادىء الدين !

١٠ روايات طويلة فى ١٢ سنة

● وخلال اثنتى عشر سنة ، تبدأ من ١٩٢٠ ، كتب موریاك عشر روايات دعمت مكانته وشهرته الادبية . ومن أبرز تلك الروايات : «قبلة للأبرص» Le Baiser au Lépreux (١٩٢٢) «جينيتريكس» Génitrix (١٩٢٣) ، « صحراء الحب » Le Désert de l'Amour و « تيريز ديسكيرو » Thérèse Desqueyroux (١٩٢٧) و « عقدة الافاعى » Le Noeud de Vipères (١٩٣٢) .

وقد نال مورياك عن رواية « صحراء الحب » الجائزة الكبرى للتأليف الروائى . وتدور احداث الرواية حول فتاة أحبها رجلان : طبيب فى الثانية والخمسين ، وابنه البالغ من العمر سبعة عشر عاما .. غير ان الفتاة تصبح زوجة لرجل ثالث ! .. وتشاء الأقدار ان يجتمع الطبيب وابنه والزوجة حول فراش الزوج المريض ، لكن الطبيب يؤدى واجبه الانسانى على الوجه الأكمل !

أما رواية « جينيتريكس » فتدور حول فكرة الامومة ، وتصور صراعا عنيفا نشب بين أم وابنها .. وقد قرر النقاد بشأن هذه الرواية انها تضع مورياك فى الصف الأول من الروائيين الفرنسيين .

وفى عام ١٩٣٤ انتخب مورياك عضوا فى الاكاديمية الفرنسية أو « مجمع الخالدين » ، وبعدها بقليل بدأ فى كتابة « يومياته » وتتضمن انطباعات شخصية ، وتعليقات على الاحداث الجارية فى فرنسا . ولا يزال مورياك مثابرا على كتابة هذه اليوميات فى ملحق « الفيجارو » الأدبى الاسبوعى ، حتى اليوم ، (وكان قبل ذلك ينشرها فى صحيفة « الاكسبريس » الاسبوعية طوال سنوات من الخمسينات .)

اما فى باب السير والتراجم فقد كتب مورياك سيرة لنابغة المسرح الفرنسى « راسين » (١٩٢٨) ، وأخرى للمسيح (١٩٣٦) ، كما ألف أربع مسرحيات ، وعديدا من مجموعات القصص ، والدراسات النقدية، والمقالات ..

فوزه بجائزة « نوبل » فى الأدب ، عام ١٩٥٢

● وفى عام ١٩٥٢ منح مورياك جائزة نوبل فى الآداب ، فكانت تتويجا لكفاحه الأدبى الطويل . (وكان يومئذ فى سن السابعة والستين .)

ويقسم مورياك وقته الآن بين الاقامة فى باريس ، والاقامة فى عزبته المسماه « مالاجار » ، فى منطقة ريفية بالقرب من مدينة بوردو ، حيث تجرى حوادث كثير من رواياته .

ومحور اكثر الروايات التى كتبها مورياك يدور حول فكرة الضعف

الانسانى ، وأن غالبية البشر ضعفاء ، فجميع مؤلفاته تسيطر عليها فكرة الخطيئة ، وأبطالها أسرى الانانية والعواطف الجامحة ، فهم فى صراع مع شهواتهم ورذائلهم ..

وأمام هذا الصراع نرى القوى الخارقة ، المجهولة ، تقف على الحياد فلا تتدخل لتتحكم فى مصائرهم . وهكذا خلق موریاك من رواياته « متحفا » امتلأت ردهاته بصور الخطاة والمذنبين . ولقد عاب البعض على موریاك هذا الاتجاه ، فكان جوابه :

– يقول لى البعض : « صف فى رواياتك اشخاصا فضلاء » .. ولكننى أخفق دائما فى تصوير الاشخاص الفضلاء . ويقولون لى : «حاول ان ترفع قليلا من المستوى الاخلاقى لشخصيات قصصك » ، ولكننى كنت كلما حاولت ذلك أصطدم باصرار هذه الشخصيات على التخلى عن كل جانب من جوانب الفضيلة والامتياز .

وهكذا نرى أن روايات موریاك تعالج مشكلات الحياة الاساسية ، فهى دراسة لمشكلة الخطيئة والاثم ، ودراسة مرتبطة بواقع الحياة ارتباطا وثيقا ، لاسيما فى جنوبى غرب فرنسا الكاثوليكية .. وحين سئل موریاك فى ذلك قال : « اننى أصور المحسوس والملموس ، فبينما يعطينا رجال الدين فكرة تجريدية عن الخاطىء ، فاننى أكسوه باللحم وأجعل الدم يجرى فى عروقه . » ، وهذا ماجعله يمتدح فن الرواية كشكل من أشكال الأدب ، ويعقد له لواء الصدارة على الفنون جميعا ، وهذه الصدارة مستمدة من هدفه الذى هو : الانسان !

وبينما سار كتاب فرنسا ، فيما بين الحربين العالميتين ، على منهج « بلزاك » ، اتجه فرانسوا موریاك الى الطابع الكلاسيكى الذى عرفت به مدام دى لافاييت ، مؤلفة القصة الخالدة « أميرة كليف » (التى قدم لك « كتابى » عرضا وتلخيصا لها فى العدد رقم ٣٥) .

هل يكتب الروائى عن تجربة شخصية ؟

● وقد سئل موریاك عما اذا كان يصف فى رواياته مواقف ليست

لديه عنها تجارب شخصية ، فأجاب بأن الكاتب يحيا فى الغالب تجارب شخصياته على نحو من الانحاء ، ولكن هذا لايمنع من أنه فى كثير من الاحيان يعالج مواقف لم تمر به فى حياته . ويقول مورياك فى هـذا الصدد ان الكاتب لايبدأ فى الانتفاع بتجاربه الخاصة الا بعد زمن ليس بالقصير ، ولذلك فلن يصبح الكاتب روائيا حقيقيا الا بعد أن تتقدم به السن ، لان الروائى الشاب لايستطيع أن يصف الا مرحلة المراهقة أو الطفولة ..ولابد من فاصل زمنى بين التجربة وبين ممارسة الكتابة عن هذه التجربة .

ولايكتب مورياك الا فى الوقت الذى يلائمه ، فالكتابة عنده ليست عملا آليا يمكن أن يؤدى فى أى وقت . وحين يواتيه الوحى أو الالهـام للكتابة ـ وهى الفترة التى يطلق عليهـا « فترة الابداع ، أو الفترة الخـلاقة » ـ فانه يكتب كل يوم ، ولايكف عن الكتابة حتى يفرغ من الرواية ، لان تأليف الرواية لايحتمل المقاطعات والتوقف .. لكنه عندما لايحس بدافع قوى يدفعه الى الكتابة ، أو اذا شعر بأن الالهام قد توقف فعندئذ يكف عن الكتابة .

وعن شخصيات رواياته يقول « مورياك » انه لاينقل شخصياته عن الواقع نقلا مباشرا ، فربما بدأت الرواية بشخصية حقيقية ولكن سرعان ماتختفى سماتها الواقعية ، وتكتسب سمات جديدة من داخل الرواية .. بعكس الشخصيات « الثانوية » فى رواياته فاغلبها شخصيات حقيقية . ويقول مورياك انه يخلع صفاته الشخصية على كثير من شخصيات رواياته، حتى ليكاد « يحشر » شخصيته هو فى كل رواياته تقريبا !

الأدباء الذين تأثر بهم

● وعن الكتاب الذين تأثر بهم يقول مورياك انه لم يتـأثر بروائى معين،وربما كان تأثره أكثر بالشعراء ،ومنهم على سبيل المثال : «راسين» « بودلير » ، « رامبو » .. لكنه لم يتأثر بأحد من الروائيين ، بل لعله تأثر بشخصيات أبطال الروايات أكثر من تأثره بمؤلفى الروايات أنفسهم ، فهو قد تأثر ـ مثلا ـ بشخصيتى « مدام بوفارى » ، و « أنا كارنينا » ،

وبطلات بلزاك . أما عن الادباء المعاصرين فهو لايهتم الا ((بالتكنيك)) الذى يصطنعونه فى كتابة رواياتهم .

أزمة الرواية المعاصرة

● وقد سئل مورياك ذات مرة عما اذا كان يوافق على أن ماتعانيه الرواية المعاصرة من أزمة يعود الى أن الاحداث التراجيدية التى تجرى الآن أبعدت الناس عن عالم الخيال والرواية ، فأجاب بالنفى ، وقال ان مايسمى بأزمة الرواية هو فى الحقيقة أزمة فى القراءة ، فالناس لم يعودوا يقرأون كما كانوا يفعلون فى الماضى ، وأزمة الرواية - فى نظره - ذات طبيعة ((ميتافيزيقية)) ، وترتبط بمفهوم معين للانسان . فلابد أن تعبر الرواية عن مفهوم العصر للانسان ، فاذا كان الفرد الحديث قد فقد سماته المميزة ، فلابد أن تصطنع الرواية اسلوبا يعبر عن مثل هذا الفرد ، فالازمة - اذن - هى ازمة ((تكنيك)) ، ومن هنا كثرت الروايات النفسية والتجريبية والفلسفية التى تعنى بالتحليل والتعليل ولاتهتم بتحديد سمات الشخصيات على نحو ماكان يفعل كتاب القرن التاسع عشر .

وليس من قبيل المصادفة - فى نظر مورياك - أن زعامة الادب فى فرنسا قد انتقلت الى الفلاسفة ، من أمثال ((جان بول سارتر)) ، فان وراء ذلك سببا تاريخيا هو مأساة فرنسا : ((لقد عبر سارتر عن يأس جيلنا وهو لم يخلق هذا اليأس ، وانما برر وجوده وأضفى عليه من اسلوبه)) .

أيهما أعظم : الروائى ، أم روايته ؟

● ويرى مورياك أن هناك حالات أو ((ظواهر)) نادرة ، (مثل : شكسبير وهوميروس ، وراسين) ، أختفت شخصيات أصحابها ، بينما خلدت أعمالهم .. فنحن لانكاد نعرف شيئا عن ((حياة)) هؤلاء الثلاثة ،

ولكن « أعمالهم » هى الباقية . ولاشك فى أن أعظم مايحققه الآديب من نجاح هو أن ينساه الناس بعد وفاته ، وتختفى شخصيته ، فلاتبقى فى ذاكرة الاجيال سوى أعماله الادبية .

أما فيما عدا هذه « الظواهر الخارقة » ، فان هناك أعمالا أدبية تموت ، بينما يبقى أصحابها : فمورياك لايكاد يذكر مثلا اسم أية شخصية من أبطال روايات « كافكا » ، بل انه لايستمتع بقراءة هذه الروايات ، وان كان يعرف عالم كافكا جيدا من خلال « يومياته » و « رسائله » وكل شىء عن شخصه الذى يفتنه .

وبالمثل فان أعظم مابقى من « روسو » هو « اعترافاته » .. ومن « شاتوبريان » هو « مذكرات ماوراء القبر » .. ومن « أندريه جيد » هو « يومياته » ، وروايته التى يحكى فيها قصة طفولته Si Le Grain Ne Meurt .. وأثناء مطالعة مورياك لرواية « مرتفعات ويذرنج » كانت شخصية مؤلفتها « اميلى برونتى » هى التى فتنته . وبالاختصار ، فعندما تختفى شخصيات أبطال القصة ، فان المؤلف هو الذى يبرز الى الضوء شيئا فشيئا ، حتى يسيطر وحده على خشبة المسرح .

ويدلل مورياك على رأيه بالقول أن شخصية الروائى العظيم ، أى شخصية الفنان ذاته ، هى الجديرة باهتمامنا : فتولستوى ، وديكنز ، وبلزاك ، هم العظماء ، وليست القوالب الادبية التى ابتدعوها ، أو شخصيات أبطال قصصهم التى خلقوها وصوروها .. وهكذا فان شخصيات « مدام بوفارى » ، و « أنا كارنينا » ، وحتى « الاخوة كارامازوف » وشخصيات بلزاك ، لاتستطيع أن تعيش وتتنفس الا اذا وجد القراء الذين يتذوقونها ويمدونها بالحياة ، وبغيرهم تظل أشبه بجثث محنطة أو تماثيل فى متحف مهجور !

وفى هذا القدر الكفاية عن مورياك ، ولنقرأ الآن هذا التلخيص لروايته المشهورة « جاليجاى » ، بعد أن عرفنا شيئا عن مؤلفها :

حلمى مراد

نافر من الحب

تلخيص : الدكتور أنور لوقا

أستاذ الادب الفرنسى المساعد بكلية آداب عين شمس

- ١ -

أجهشت « مارى دوبرنيه » بالبكاء ، وأضربت عن الجلوس الى المائدة لتناول الغداء مع والديها ، وصعدت الى غرفتها ، وأوصدت بابها • لماذا تنتهرها امها ؟ •• ألنظرة منها ، أذاعت ما تكتم من شعور ؟

وكان قيظ الظهيرة شديدا ، فخلعت ثوبها واستلقت على سريرها نصف عارية ، مستسلمة لشجنها • وسرعان ما اسكرتها دموعها • لم يكن هناك من يحنو على هذا الجسم الغض •• جسم الطفلة الذى استحال الى جسم امرأة ، فى سن السابعة عشرة • وراحت الفتاة تردد اسما وقد غاص رأسها وتكمم فى الوسادة : « جيل ، جيل ، جيل » !

لقد التقت ب «جيل» ثلاث مرات لا أكثر : مرة اذ جمعهما غداء فى الهواء الطلق دعتهما اليه اسرة «مونجى» •• ومرتين ، كانا لقائين حقا ، على ضفة نهر (الليبيرو) • هناك كان «جيل» بصحبة « نيكولا بلاساك » ، وكانا يستحمان • **وبدا لها « جيل » اذ ذاك كأنه الذئب ، وقد تلألأت قطرات الماء على جلده الذهبى** •• بينما بدا نيكولا دميما ممتقع الوجه • وأما اللقاء الأخير ، فكانا قد ضربا موعده ، هى ، وهو ، بمفردهما !•• آه لهاتين الساعتين العذبتين ! •• انها لتريد أن تستعيدهما وتحياهما من جديد ، مهما يكلفها ذلك من ثمن ••

ترى هل يقاسى « جيل » مثلها ؟ •• انه يسعى الى رؤيتها حيثما تذهب • لقد كانت عبارته الأخيرة لها ، «ان مدام « أجات » - مربيتها - تستطيع كل شىء » •• ثم قال ان

المربية تحب « نيكولا بلاساك » ! ٠٠ ترى أتستطيع ـ هذه المرأة ـ أن تحب امرؤا ما ؟ ٠٠ من يدرى ؟ انها تظهر اللطف على كل حال ٠ ولكنها غريبة الأطوار ، تقول قولة ثم تفعل عكسها ٠! انها تعرف كيف تتملقك بكلام كالعسل المصفى حين يخطر لها ذلك ، ولكنها عنكبوت عجوز ، كأن شيئا فى داخلها ينخرها ويقرضها ، فلعلها مصابة بالسرطان ، فليأخذها الموت ! كلا ! يا الهى ، سامحنى ! لا ، اننى لا أتمنى لها الموت ٠ لا ، يارب احفظ حياة مدام « أجات » ٠

- ٢ -

وفى تلك الساعة ، بينما كانت فتاة نصف عارية تتألم من أجله ـ فى غرفتها ـ كان « جيل » يتناول غداءه بشهية فى بيت صديقه « نيكولا » ٠ وكان « جيل » فتى فى الثالثة والعشرين من عمره ، يشبه أى شاب فى الثالثة والعشرين ! لم يكن أعجوبة الا فى نظر « مارى » وفى نظر « نيكولا » ٠ وكانت أم نيكولا تعجب به أيضا ، ولكن اعجابها كان خاليا من كل عاطفة ٠ كان يمثل بالنسبة لها عضوا من أعضاء المجتمع الراقى ٠ فقد كان يسرها ألا يجد « جيل سالون » ، ابن الدكتور « سالون » ، غضاضة فى أن يأكل فى بيتها ، بل وأن يجد كل ما طهته يداها طيبا لذيذا ، برغم انها ارملة فقيرة ، تضطر أحيانا الى الاشتغال بغسل الثياب ، أو القيام بخدمة بعض العائلات الموسرة ، لكى تكسب قوتها وتربى ابنها ، منذ توفى زوجها ٠

أما فى عينى ابنها نيكولا فقد كان «جيل» هو المثل الأعلى للشباب فى جماله وانطلاقه ٠ انه يحبه ، وينظر اليه فى اعجاب ، حتى لينسى ماذا يتناول ـ اثناء ذلك ـ من طعام !٠ انه لا يسمع الحوار الدائر بين أمه وبين « جيل » ، وانما

يحس بالبهجة اذ يفكر فى أن «جيل» معه ، فى بيته ، وفى حياته، وفى قلبه • وانه ليشكر الله على هذه النعمة الكبيرة • ففى باريس ، لم يكن يلتقى به الا نادرا !•• لقد كان الفرق الاجتماعى بينهما كبيرا • فنيكولا كان يقيم فى المدرسة التى يشتغل فيها « ملاحظا » ، على حين كان « جيل » يختلف الى بعض محاضرات الجامعة ، وينفق وقته مع اصدقاء كثيرين من حوله • غير ان نيكولا كان ممن يؤمنون بأنك لن تستطيع ان تمتلك الشخص الذى تحبه الا فى سكون العزلة ، وأثناء العطلة ـ فى بلدتهما الصغيرة (دورت) ـ كما هى حالهما الآن، اذ ها هو ذا « جيل » ملك له تماما !

ولم يكن « جيل » يحدثه ـ سيما كلما خرجت والدة نيكولا « مدام بلاساك » لاحضار شىء من المطبخ ـ الا عن هيامه بمارى •• ثم يعرج الى الحديث عن شغف مربيتها «مدام أجات » به هو « نيكولا » •• وعندئذ ينبرى له هذا مقاطعا :

ـ ارجوك يا « جيل » ان تقلع عن الخوض فى سيرة مدام «أجات» • انى انتظر نهاية العطلة بفارغ الصبر ، لكى تفصل بينها وبينى مئات الكيلومترات ، حتى لا أراها تقتحم البيت وتدخلَ كل غرفة دون استئذان !

ـ وهل الذنب ذنبى اذا كانت « جاليجاى » متيمة بك ؟ لا تنس ـ على كل حال ـ وعدك لى بالا تجفوها • فليس من يجمع شملى ب «مارى» ، قرة عينى ، سواها • لكنك تستطيع أن تسيطر عليها اذا أردت !

وتقبل أم نيكولا ، فتسألهما فيم يتحدثان ، فيجيبها « جيل » :

ـ عن مدام « أجات » ، ألا تروق لك ؟

ـ آه من هذه المرأة !•• انها تدخل علينا كأنها تدخل طاحونة مفتوحة للجميع • وليتها تقف لكى تخاطبنى ، وانما

هى لا تستحيى من الصعود رأسا الى غرفة نيكولا . فلعلها تبيت فى نفسها أفكارا ..

فيقاطع نيكولا أمه ، نافرا مما يسمع . ولكن الأم تواصل حديثها :

ـ لقد قلت لها واقع الأمر فى وجهها . ولست أتوقع بعد ذلك أن أفاجئها وهى تصعد سلم الدار مرة أخرى !

ـ ولكنك تعلمين انها ابنة « الكونت دى كامبلان » .

ـ نعم !.. « الكونت » الذى يضطرها الى أن تشتغل لتعيش ، بعد أن أكل ثروتها !.. وحين أقول «تشتغل» أعنى مايعنيه الناس من عملها لدى السيد «دوبرنيه» والد مارى !

فيقاطع نيكولا أمه ثانية ، نافرا مما يسمع ، مغمضا عينيه لكى لا يرى ما اتخذ وجهها من تعبير فى تلك اللحظة . ويتحسر « جيل » ساخرا :

ـ مسكينة « جاليجاى » !

فتسأله أم صديقه : « لماذا تدعوها «جاليجاى»؟ »(١)

---

(١) « جاليجاى » هو اللقب الذى عرفت به « ليونورا دورى » ، زوجة الوزير الايطالى كونشينى ، عشيق ملكة فرنسا « مارى دى ميديسيس » (١٥٧٣ ـ ١٦٤٢) ، والدة الملك لويس الثالث عشر . وقد ساهمت « جاليجاى » فى تلطيخ سمعة زوجها كونشينى ، كما ساهم الاثنان فى السيطرة على شخصية الملكة مارى وتصرفاتها ، ولاسيما خلال السنوات السبع (١٦١٠ ـ ١٦١٧) التى حكمت فيها « مارى » فرنسا حكما مطلقا ، كوصية على ابنها لويس ، بعد اغتيال زوجها هنرى الرابع فى عام ١٦١٠ . وبلغ من تدليلها لوزيرها المفضل كونشينى أنها عينته رئيسا للوزراء وماريشالا فى الجيش . لكن جاليجاى أحرقت فى النهاية ، عام ١٦١٧ ، بتهمة ممارسة السحر والشعوذة للسيطرة على

ـ ألا تعلمين أنها قد تزوجت بارونا ؟

ـ بارونا ؟!

ـ أجل بارونا مليح الطلعـة هجرها يوم اقترن بها ، بمجرد أن قبض البائنة ، مبلغ المليونين من الفرنكات .. اننى أعلم القصة . لقد ولى الأدبار فى مسـاء اليوم نفسه ، بينما كانت « أجات » تخلع ملابس العرس !

ـ عجيب أن يحدث هذا !

فينظر نيكولا الى صديقه فى أسى ، ويعاتبه قائلا :

ـ « جيل » ! دعك من هذه السيرة ، فانك تعرفها تماما .. كما تعرفها والدتى .

الأم : ان البارون لم يهرب بمفرده كما تعلم !

جيل : فمع من عساه أن يكون قد هرب ؟

الأم : ليس مع امرأة ، على كل حال !

جيل : فمع من اذن ؟

الأم : ان كنت لا تعلم النبأ ، فلست أنا التى ستلقيه اليك .

ومن لهجة مدام « بلاساك » ، أيقن « جيل » ان ذلك « البارون » قد انحرف فى سلوكه .

الملكة ! .. وفى نفس العام تولى لويس الثالث عشر عرش فرنسا ، فنفى والدته مارى دى ميديسيس بعيدا عن باريس . وحين سـأل القضاة « جاليجاى » ، أثناء محاكمتها ، أى نوع من السحر استخدمت كى تسيطر على عقل الملكة مارى ، كان جوابها : « ان سحرى الوحيد يتمثل فى سلطان ذى العقل القوى على ذى العقل الضعيف ! »

(كتابى)

- ٣ -

دخلت مدام «أجات» غرفة تلميذتها «مارى» ، فلم يوقظ دخولها الفتاة الناعسة . وكانت تحمل اليها طعام العشاء .. آه ! يا لهذا الجسم اليافع ، الذى تنازعه الكرى والشجن !.. كانت « مارى » نائمة وقد اخفت وجهها بين ساعديها ، وثنت احدى ساقيها ، فبدت ركبتها هذه التى تشبه قطعة من الحجر تحت ماء مجرى دافق لم يلمسها أحد ، على حين تدلت ساقها الاخرى زغباء خفيفة الزغب . ومن هذا الجسد الذى ينضح عليه العرق ، ومن هاتين الذراعين البضتين - وقد ارتفعتا كأنهما نهران ينبعان من بقعة من الذهب القاتم هى رأسها الأشقر - كانت تفوح رائحة نباتية اكثر منها حيوانية . تشبه رائحة الماء والطين .. رائحة البحر ورائحة الحديقة !

ورفعت مدام « أجات » عينيها ، ونظرت الى صورتها المنعكسة على صقال زجاج النافذة .. كانت جفونها غير ذات أهداب ، ووجهها ناتىء العظام ، وقميصها معروقا تحت ابطيها .. قميص فضفاض فارغ فوق صدرها !

وقالت فى نفسها : « ليس لى صدر ..! » ، وليت ذلك كان حقا ، اذن لكان أفضل لها ان تكون غير ذات صدر كاعب على الاطلاق ، من ان تحمل هذا الذى كانت تحمله . ومن الموضع الذى وقفت فيه ، لم تكن تستطيع أن ترى نهدى الصغيرة « مارى » ، ولكنها كانت تعرفهما . وعلى الرغم من أنها ظلت حابسة أنفاسها ، فقد تحركت الفتاة الراقدة ، وسألت : « من هناك ؟ » . فأشارت المرأة الى الطعام قائلة :

- كلى . ولكن تغطى أولا !

ـ كان ينبغى أن تطرقى الباب ، لكى أتمكن من ارتداء ثوبى قبل أن أسمح لك بالدخول ٠

ـ لا يوجد شىء من حقك ان تأذنى لى به ، اذ لا يوجد شىء من حقك أن تمنعيه عنى !

ها هى ذى مارى قد أغضبت مدام « أجات » ، ملجأها الأخير ٠ فهل أساءت اليها حقا ؟٠٠ لماذا لا تحنو عليها معلمتها ؟٠٠ **وطوقت الفتاة بذراعيها النحيفتين عنق مدام « أجات » ٠ وأحست هذه بحرارتها ، فأبعدتها فى رفق ، وأعانتها على ارتداء ثوبها ٠٠ وانصرفت الصبية عن الطعام الى سؤال مربيتها :**

ـ ما الفارق بين آل « سالون » وبيننا ؟ ٠٠ فيم نفضلهم ونمتاز عليهم ؟

ـ سلى أمك ، فهى التى ترى ذلك ٠

ـ بل قولى لى ، أى فارق هناك ؟

ـ فارق ما بين نملة سوداء ونملة حمراء ٠

ـ لست أفهم ٠

ـ ليس هناك ما ينبغى فهمه !

لقد كانت « أجات » تحقد على هذه الطبقة من الناس بعد أن هجرها البارون « جوت » ليلة زفافها اليه ، وهرب مع ابن البستانى !٠٠ فكانت أسرتا « سالون » و « دوبرنيه » تنتميان ـ فى تقديرها ـ الى نفس الحثالة البشرية ٠ وانها لتؤثر عليهما بمراحل قوما متواضعين كعائلة « بلاساك » ، التى لا تطمع فى شىء ولا تدعى شيئا ٠ **وتخيلت الفتى «نيكولا» ، وكيف تستطيع ـ اذا عاشت بجانبه ـ ان ترفعه الى مكانة عالية ٠٠ انها تريد ان تدخل حياته ، ولكنه يروغ منها ، غير انها واثقة من انها بقوة ارادتها بالغة يوما جميع**

ما تصبو اليه . انها لم تشعر قط بأى ميل نحو البارون « جوت » ، ذلك الشاب اللين لين الأنثى ، ولو قد رغبت فى الابقاء عليه ، لما أعوزتها العزيمة . ولا أدل على استطاعتها أن تروق فى أعين الرجال من نظرات السيد « أرمان دوبرنيه » رب البيت اليها ، حتى لقد استدعى الأمر أن تزود باب غرفتها بقفل خاص !

ترى كيف يمسى بين يديها نيكولا يوم تبوح له بوجدها ؟ .. انه يرهب أن يختلى بها . كلا ، فما ذلك الا حياء منه وخجلا ، لانها أطالت التحديق فى وجهه . انها تعى مبلغ جوعها اليه .

ـ مدام « أجات » ، انك لا تسمعيننى ؟

ولعل الصبية كانت تخاطبها منذ وقت طويل وهى لاهية عنها ، غارقة فى تفكيرها .

ـ لماذا تعارضيننا ؟.. لقد تعرفت بـ «جيل» عن طريقك .

ـ أمجنونة أنت ؟.. ان نيكولا صديقى ، وكان «جيل» بصحبته .. ليست لى يد فى ذلك .

ـ أوه ، يا مدام « أجات » !.. لقد مكنتك رقتك ـ بلا شك ـ من ملاحظة ما نشأ بينى وبين « جيل » ، فدبرت تكرار لقائنا . وهذا شىء لن أنساه لك ما حييت ..

لقد كانت الصبية الغريرة موقنة من أن قلب المعلمة قد رق لحبها ، ومن أنها تعطف عليها . غير أن مدام أجات ـ حين دبرت كل لقاء منى ـ لم تكن تسعى إلا نحو هدف واحد ، هو أن تلحق بنيكولا الذى لم يكن يتهرب منها كلما أقبل بصحبة «جيل» . على أنها لم تدع الوهم أن يضللها فهى تعرف أن الفتى لا يحبها ، وإنما يطيع ـ فى مرافقتها ـ ايعاز صديقه . والحق أن نيكولا لم يكن يشغف بى كثيرا بعد !

فى الغابة ، الا ليخلو الجو لجيل ومارى معا • مهما يكن من شىء فقد عرفت هى الهناء برفقة رجل فى الغابة •

وتناقش الصبية معلمتها ، وتتودد اليها ، لكى تؤدى بينها وبين «جيل» دور الرسول ، فى تلك البلدة الصغيرة التى لا سبيل الى اتصال فتيانها بفتياتها دون رقيب !

- ٤ -

ـ **انى** مسئولة عن تربية الآنسة « مارى دوبرنيه » • ولقد سببت يا سيدى فى حياتها اضطرابا كبيرا ••

هكذا راحت المعلمه تخاطب « جيل » ، والفتى يصغى اليهـا ، دون أن يعارضها أو يظهر امتعاضـه ونفـوره من محضرها الكريه • فلقد كان حريصا على أن يحظى برضاها • وبعد ان تركها تتكلم ما طاب لها الكلام ، قال :

ـ انا انما أخاطب قلبك •

ـ لا قلب لى •

ـ لست أصدقك •

ـ لا قلب لى بالمعنى الذى تظنه •

وصمتت ، وأخذت تحملق فيه من قمة رأسه الى أخمص قدميه ، فقرب كرسيه حتى واجهها •• وكادت ركبته الغليظة أن تمس ثوبها الرمادى ، ثم سألها :

ـ ماذا أقبلت تقولين لى ؟

يا له من فظ غليظ !•• وتراجعت بكرسيها قليلا الى الوراء ، كأنهـا تأنف منه •• **نعم** ، **فانهـا تكره منـه هذه الرجولة القوية التى اسـتطاعت أن تحييها فى نفسـه صبية تافهة ، بينمـا لم تسـتطع شـخصية عالية كشخصيتها ان تسيطر عليه أدنى سيطرة !**

ـ انت وحدك تستطيعين ان تقنعى مدام «دوبرنيه» ٠٠ أتعرفين بمن يشبهك نيكولا ؟

فاحمر وجهها ، اذ علمت أن نيكولا يفكر فيها لدرجة انه يشبهها بغيرها من الناس !

ـ انه يشبهك بليونورا جاليجاى ٠٠ أتذكرين «ليونورا جاليجاى » ؟

فأجابت ضاحكة : « نعم ، تلك التى استطاعت السيطرة على الملكة « مارى دى مدسيس » ، دون أن تستخدم من تميمة سحرية الا سلطان النفوس القوية على النفوس الضعيفة ٠ لكنك تخطىء اذا ظننت ان مدام «دوبرنيه» من ذوات النفوس الضعيفة » ٠

ـ **ولكنك انت من ذوات النفوس القوية ٠**

ـ ربما ٠٠

وزفرت ، ثم قالت بعد برهة : « ونيكولا بلاساك ليس من ذوى النفوس الضعيفة » ٠

ـ ولكنه يحبنى !

وظلت صامتة ، تحاول أن تهضم معنى « يحبنى » ، وهى المرأة التى فر زوجها مع رجل ، ثم قالت فى عناء :

ـ ان الطرفين المتباريين غير متعادلين ٠ فما أنت فى حاجة الى اقناع « مارى » ، وما عليك الا أن تقهر العقبات الخارجة عن ارادتها ٠ بينما أنا ٠٠

ـ طبعا ! انا لا أعدك بنجاح مضمون !

وأحس الفتى بوجنتيه تلتهبان ٠٠ هل تظن هذه المرأة البشعة انه سيقدم لها نيكولا ضحية سائغة ؟ ٠٠ هيهات ! وانما يكفيه ان يبادلها صديقه الود ، حتى يفوز هو بيد « مارى » !

- ٥ -

والتقى الصديقان - جيل ونيكولا - خارج البلدة الصغيرة ، على الطريق المؤدية الى (كاستيون) ٠ وسار نيكولا مشرئبا ، وقد سجا الليل ٠ فانه يحب الدنيا على هذه الصورة ، اذ تدب الحياة المتلألئة فى السماء ، ويختفى البشر من فوق الأرض فلا تسودها الا الأشجار ٠٠ كان ينصت الى حفيف تلك الأشجار ، ونباح كلاب بعيدة ، وصياح ديكة خدعها ضوء القمر ، ولكنه كان اكثر انتباها الى وقع حذاء «جيل» على الطريق بجواره ، وخطاهما المتفقة الرتيبة ٠٠٠ وامتد ظلاهما على الأرض ، يلتقيان تارة ويفترقان أخرى ، خاضعين لشريعة غامضة ، كأنهما باتا يؤلفان وحدهما مجموعة من مجموعات نجوم الليل السيارة ٠ ومضى « جيل » يتكلم ويتكلم ٠٠ ونيكولا يتخذ من ألفاظه وسيلة يسبر بها صمت الليل الحى ، الذى هو صمت الله ٠٠ **لقد كان يتوقع ما انتوى « جيل » ان يسأله اياه ، فكان يحاول أن يؤخر اللحظة التى يضطر فيها الى أن يقول له «لا » !**

- أنت لا تصدق اننى احب مارى ، لأنك مقتنع بأنى عاجز عن الحب ٠ انك لا تستطيع أن تعرف ذلك ، لأنك لم تشعر قط بحاجة الى الحب ، ولك فى قصائد الشعر وفى عاطفة الصداقة ما يكفيك ٠٠ انظر ! ان المسألة بسيطة !٠٠ **سوف تسألك « جاليجاى » وعدا ٠٠ عهدا ٠٠ خطبة اذا استفحل الامر ، فما عليك الا ان تزجى لها الوعد والعهد والخطبة ، بحيث يظل هذا كله فى الخفاء ولا يؤدى الى نتيجة !**

- كلا ! محال ! ٠٠ حسبى اساءتى اليها حتى اليوم ٠

فجانبه « جيل » قليلا ، وأحس نيكولا منه الازدراء ، فاستطرد يقول له : «حاول أن تفهم٠اننى أنا المذنب لا أنت!

نعم اننى أشفق على غيرى من الناس ، ما عدا مخلوقة واحدة، وهى تلك بعينها التى تحبنى وتحلم بأن أشاطرها حبها ٠٠٠ وليت الأمر وقف عند شعورى السلبى نحوها، بل ان شخصها يثير غيظى وحنقى عليها ! » ٠

ـ أيها الغبى ! انك اذا أطعتنى ستمنح هذه التعسة بضعة أسابيع من السعادة ٠٠ سعادة وهمية ، نعم ، ولكنها سعادة عذبة على كل حال ٠

ـ أتظننى قادرا على أن أخدعها ؟

ـ اطمئن ! ماظننتك قط قادرا على ذلك ٠ أتريد أن أقول لك من أنت ؟٠٠ انك أشد ما تنفر منه النفس فى الدنيا: فتى فاضل مسرف فى النظافة والشرف ٠ فاننى اذا نفرت يوما من الفضيلة ، فلن يكون نفورى منها الا بسببك أنت !

ـ فاضل أنا ؟ انك لمجنون !

وضحك ، مجبرا نفسه على الضحك ٠٠

ـ أجل ، لقد أديت لبعض الزملاء خدمات لا أجرؤ على ان ابوح بها امامك ٠ انما الصديق الحق هو الذى يعين صديقه على القاء جثة فى النهر ، دون أن يسأله سؤالا ٠

ـ اذن فلا تعتمد على فى أن أقدم الجثة !

وعلى أثر هذه العبارة الجافة ، ابتعد « جيل » متجها ناحية (دورت) ، وجلس نيكولا على سياج الطريق يستمع الى وقع خطوات صاحبه وهى تنأى وتخفت ثم تتلاشى ٠ وفجأة نهض ، وأخذ يعدو حتى لحق « بجيل » ليقول له لاهثا:

ـ اسمع ، عندى فكرة ٠٠ يبدو لى اننى أستطيع تدبير الأمور ، ولكن دع لى مجالا للاستراحة !

وتنفس « جيل » الصعداء ، وأجاب على الرغم من تأثره لضعف « نيكولا » :

ـ ها نحن فى شهر سبتمبر ، ونهاية العطلة قد اقتربت، فليس الابطاء من الخير ٠٠ أتظن أنك تستطيع أن تصل فى معاشرة « جاليجاى » الى ٠٠

ـ صه ! انك دنىء !

وقهقه « جيل » ، وفاه بعبارات غليظة ٠ وفقد الليل فى شعور نيكولا ما كان عليه من قدسية وخشوع ٠ لقد انتهك « جيل » حرمته ودنسه !

- ٦ -

تسللت « أجات » بين الخندق المحفور فى جانب من الطريق وبين كومة من الحصى ، لكى لا يراها امرؤ فى ضوء القمر الغامر ٠ وكانت تظن انها بمجرد خروجها من البلدة ، ستجد « نيكولا » فى انتظارها ٠ فلما خاب ظنها ، قررت ان تواصل سيرها حتى تبلغ الموضع الذى يقطع فيه الطريق نهر (الليرو) ٠ وها هى ذى تشم رائحة الماء الآسن وتسمع نقيق الضفادع ٠ هناك كان « نيكولا » جاثما على الجسر فى الظلام ، فنهض ، واقبلت عليه ، فقال لها :

ـ أجلسى هنا ، حيث لا يمكن أن يرانا من يعبر الطريق ٠

وانتظرت أن يقبلها ، ولكنه لم يفعل ٠ لم تخطر له مجرد الفكرة ٠٠ وانما سألها :

ـ هل هما معا ؟٠٠ أتظنين أنهما فى مأمن ؟

ـ وأى ضير يمكن أن يلحق بهما ؟ ان مدام « دوبرنيه » مريضة ملازمة فراشها ٠ ولو فاجأهما أحد ، فذلك أبسط حل لاغتصاب موافقة أمها ٠٠ خشية العار !

ولما ظل الفتى ساكنا كالحجر الذى استند اليه ، صامتا كشجرة الصنوبر الضخمة التى تغتسل جذورها فى ماء النهر ،

أضافت : « **طبعا ، فى تلك الحال سأفقد وظيفتى . ولكن لا بد من أن أفقدها يوما وأترك آل « دوبرنيه » لكى أتبعك!** »

فصحا من غفلته ، وقال :

– كلا يا « أجات » لا تفكرى هذا التفكير !.. تفقدين وظيفتك ، وما تقرر من أمرنا شىء ، وما فاتحت أمى فى الموضوع بعد ؟!

– فماذا تنتظر ؟.. أما عن أمك فأنا كفيلة باقناعها .

– انك تعرفين شدة معارضتها .

– ولكنك تعرفنى . ان الذى أريد أن أفعله لا بد ان ابلغ مرادى منه . وسترى بعد أسبوع واحد أنها هى التى ستطلب اليك أن تحدد موعد زواجنا !

فارتعد ، وتلمس تعلة أخرى ليدفعها عنه ، فقال : « ينبغى أن ننتظر – قبل كل شىء – أن أصل الى المركز الذى أتمكن فيه من تأثيث بيت والانفاق عليه » .

– اننى سأشتغل أنا الأخرى ، فما كنت يوما عالة على احد . ولقد بدأت فعلا فى البحث عن عمل بباريس ، وتلقيت بعض العروض . ثم نحن لن نحتاج الى أكثر من غرفة واحدة ، ووجبة سريعة فى المقهى تكفينا . اننى مدبرة ، وقد عشت طويلا لا آكل سوى طبق « المكرونة » الواحد ، أسخنه ساعة العشاء على موقد البترول لكى لا اتناوله باردا .

كانت هذه الأقوال طعنات حادة عميقة أصابت صميم الفتى الرقيق . فهو يحب – الى درجة التقديس – العيش المتواضع ، الممتاز فى تواضعه .. البيت الفقير ، والمزين مع ذلك . **وكان يعير قيمة روحية صوفية لكل ما يتخيله حوله ، فلطبق الحساء ، وللفاكهة فى الأوانى الفخارية ، والوجبات البطيئة الصامتة ، معانيها وتعبيرها فى نفسه المرهفة .** لقد

عرفت « جاليجاى » من البداية كيف تثير أقصى نفوره !

ولاذا بالصمت المطبق ، فلم تقل صاحبته شيئا ، وانما مدت يدها فسحبت يده ، وضغطت عليها . وأحس بالمرأة تريد أن تلتصق به . وها هى ذى تضع رأسها على كتفه . لقد خلعت قلنسوتها . ولكنه لم يتحرك ، فكأنه جذع شجرة .. **وقالت : « آه انني أريد أن أحس خفقات قلبك »** .

أتراها تجرؤ على ان تفعل ؟.. نعم ، تسللت اصابعها .. وفجأة أصبحت تلك المخالب على صفحة صدره العارى. **وقالت : « انني لا أحسه ينبض .. ! »**

وكيف كان يستطيع أن يخفق ذلك القلب المصعوق ؟. ولم يلبث حتى سمع منها ما كان يتوقع :

ـ قبلنى !.. انك لم تقبلنى بعد !

ومدت نحوه شفتيها .

ـ لا ! .. بل بين عينيك . انهما عيناك اللتان احبهما!

وكان ذلك يعنى : لا تستطيع شفتاى ان تلمسا منك ـ دون اشمئزاز ـ سوى عينيك !

وفى تلك اللحظة ، كان القمر الساهر يغضى عن زفرات أخرى ، رقيقة ، لا يميزها السمع من حفيف الشجر فى حديقة دار « دوبرنيه » .. كانت « مارى » تقول :

ـ لا !.. انك توشك ان تمزق قميصى . من هنا .. نعم ، هكذا !.. انتظر حتى أملك انفاسى !

ولم تكن تعلم ان القبلة يمكن ان تتصل وتطول الى ذلك الحد !

واستردت انفاسها لتقول :

ـ الأحسن أن نرقد ..

ـ لا ، لا ، لا .

تلك كانت المعجزة التى علقت القمر وراء شجرة الزنبق الكبيرة . **كانت هى ـ وهى الطفلة البريئة ـ مستسلمة ، بينما كان هو ـ وهو الذئب الفاتك ـ لا يريد أن يوغل فى اكتناه سر ذلك الجسد الى أبعد من الشفتين المفتوحتين كالثمرة الناضجة ، والصدر الخافق بالحياة ، الذى غطاه جميعه بكفه العريضة .**

وعادت جاليجاى .. فأنبت مارى على المكوث كذلك حتى تلك الساعة المتأخرة من الليل .. فافترق المتحابان على تواعد باللقاء فى الغد ، وفى كل يوم .. ودخلت « مارى » غرفة المعلمة ، حيث بات المصباح موقدا ، يوحى لمن يلمح بصيصه بأنها لم تغادرها . ورأت « أجات » قميص الفتاة مفتوحا ، وشفتيها منتفختين .. ومن خلال شعرها المتهدل على وجهها كانت نظرتها البعيدة هائمة فى عالم آخر . ولكى تتوقى لوم أستاذتها ، أو ربما لحاجتها الى عناق امرىء ما ، طوقت «مارى» عنق مربيتها ، ثم انفصلت عنها بسرعة .. وهتفت :

ـ ما بالك تبكين يا مدام « أجات » ؟ أو لم تلقيه هذا المساء ؟ اتراك من السعادة تبكين !

فلم تجب « أجات » .. لا عن غيرة وحسد ، بل لأنها كانت نهبا لشهوتها التى فاضت بها . ولم يكن فى شعورها سوى حنان مرير ، دون أمل . ولم تعبأ حتى بأن تمسح دمعها .. لقد سمحت لنفسها بأن تبكى أمام شخص ما !

ـ ٧ ـ

وفى المساء التالى ، لم يلتق « جيل » و « مارى » . فقد حدث حادث لم يكن فى الحسبان ، أقبلت « أجات » ترويه فى غرفة نيكولا .. لقد اشتدت آلام المرض على مدام

دوبرنيه فى الفجر ، فاستدعوا الطبيب ، الذى قرر نقلها – فى الحال – الى المستشفى فى (بوردو) .. وقالت «أجات» لنيكولا :

– لا تنتظرنى اذن هذا المساء على طريق (كاستيون). انى سأحضر هنا الى غرفتك ، وسيكون هذا أطيب لنا ... لقد خاطبت أمك وأخذت موافقتها .

أما « جيل » ، فسرعان ما انتقل الى فندق فى (بوردو)، حيث كانت « مارى » تقضى معه ساعات كاملة ، بفضل تدبير « جاليجاى » . وتفاقمت حال المريضة ، حتى لقد صرح الاطباء بوجوب بقائها فى المستشفى مدة طويلة . ولم يكن لأجات بد من المكوث الى جانبها ، **فكانت رسائلها تترى الى « نيكولا » ، تحمل اليه ولهها المضطرم المتأجج ، وتهالكها المستيئس المستميت . وكان الفتى يستمد من يأسها أملا ، فهو يرجو ان تنقضى العطلة قبل ان تتمكن « أجات » من العودة الى (دورت) ، فيرحل الى باريس دون ان يراها !**

.. وأصبح يحصى الأيام الباقية !

.. لم تبق الا عشرة أيام ثم يحين خلاصه !.. واذا برسالة تصله وقد جاء فيها: « لقد انتهت.. سأنتظر وضعها فى التابوت ، وأكون فى حضنك بعد غد ! »

ورجع « جيل » الى (دورت) ، فروى لصديقه قصة الاسبوعين اللذين قضاهما فى (بوردو) ، وكيف زخرا بالسحر المذيب والفتنة العاتية والهول القاسى .. كانت « مارى » – فى أول الأمر – تلحق به فى الحديقة العامة أو على الشاطىء .. فى أى مكان ما عدا غرفته بالفندق ، ولقد قاوما اغراء الهوى عدة ايام ، اذ كانا يعرفان ما لا بد من حدوثه متى اختليا واغلقا الباب .. ومع ذلك فقد تم هذا . **وغمره**

الأسف بقدر ما غمر صاحبته ، سيما وقد كانا يختلسان تلك اللذات الحلوة ، بينما كانت أمها تحتضر ٠٠ ولكن داعى الحياة قد جعل الهناء أقوى من الحزن !

وحين التقى « جيل » بصديقه راح يحدثه :

ـ ينبغى أن أقول لك اننى لم أشعر بالشبع عقب المرة الاولى ٠٠ اننى لأجد النعيم فى كل لقاء ، وكأننى أضمها لأول مرة ٠٠ على أن « مارى » ترى الأمر بسيطا ، فما كانت تتخيل أنه غير ذلك !٠٠ أما أنا ، وأنت تعرفنى ، فياله من اكتشاف اكتشفته ٠٠ يا لها من أعجوبة !

وتدفق فى الحديث كعادته ، لا ينظر الى وجه صديقه ، ولا يذكر الا نفسه ٠ لقد كان يألف من « نيكولا » السكون والانصات ٠٠ ولكن صمت صديقه ـ فى هذه المرة ـ لم يكن ذلك الصمت الذى عهده منه دائما ٠

ـ مالى أراك كاسف البال ؟ أبسبب « جاليجاى » ؟٠٠ لا تظن انك مضطر الى ٠٠ أجل ، لقد فهمت منذ عودتى أن المسألة تطورت الى خطبة رسمية ٠ فلتكن خطبة الى أجل غير مسمى ٠٠ ألم يكن ذلك هو غرضك ؟ انا لا أستطيع أن أفهم لهذا الارتباط معنى آخر ٠ هل خطر لك اننى سأدعك فريسة حية بين براثنها ؟٠٠ **ينبغى أن تفكر فى شعورها هى الأخرى ، لأنك اذا ارتبطت بها ـ مع اشمئزازك منها ـ فستقضى عليها بموت تدريجى بطىء** !٠٠ خير لها أن تخليها تماما ٠٠ وتستطيع ان تطمئن ، لانك اذا تزوجتها فستحول بينها وبين مصيرها المحتوم ومكانها الطبيعى من حياة الأب « دوبرنيه » وقد ترمل الآن ٠٠ ان البلدة جميعها تحدس زواجهما الوشيك ، فلا تقلق ولا تهتم ، بل انفض يديك !

تنفس نيكولا الصعداء ، واكتست الدنيا فى عينيه نورا ٠

لقد أزاح « جيل » عن صـدره ـ حجرا بعد حجر ـ صرحا كثيفا كان يرهقه • غير أنه حاول أن يجاهد ويقاوم ، مصغيا الى صوت ضميره • فقال له « جيل » :

ـ أما انا فلا ضمير لى !

- ٨ -

قالت « جاليجاى » : « لقـد رجعت لأعد غداء المأتم ، فسيحضر جمع غفير • ماذا أرى ؟•• انك لم تحدثنى من قبل عن سفرك ! »

وكان « نيكولا » واقفا أمام حقيبته المفتوحة ، يعد متاعه للسفر •• وتولاه الخجل من خـوفه •• خوف الطفل الذى يفجأه فى خطئه شخص كبير •• وأخيرا ، قال :

ـ هناك بعض الشـؤون العاجلة ، تحتم سـفرى الى باريس •

ـ ومتى تعود ؟

ـ بعد أسبوع •

حينئذ اشارت « جاليجاى » بأصبعها ـ اشارة الاتهام ـ الى جميع ملابسـه وكتبـه التى نثرها على السرير ، تمهيدا لوضعها فى الحقيبة • فقال :

ـ أظن اننى ما زلت حرا •

ـ هيا ! اعترف ••

ـ أجل ، انى لراحل !

ـ فما الذى حدث أثناء غيبتى ؟•• لقد حدث شىء ما ! •• ما هو ؟

وكانت تخاطبه من قرب شديد ، وقد ثبتت فى عينيه

عينيها العاطلتين من الاهداب . فأشاح بوجهه عنها . ولكن الحوار اتصل بينهما عصيبا رهيبا ، يسرد الفتى اعذاره وتعلاته ، وتقرع المرأة الهائجة أسبابه الواهية بحججها الدامغة ورأيها العنيد.. كان يصارعها كأنها الوحش الكاسر. وظن انه يستطيع أن يتقى اذاها ، حين واجهها بأمر الارث الذى سيؤول اليها ، اذا اقترنت بالسيد دوبرنيه . فأجابته:

ـ ليس لهذا قيمة فى نظرى يا حبيبى .. افهم ان الدنيا ليس فيها سواك وسواى !

ومضى الفتى يدافع عن نفسه دفاع المستميت ، فاذا هذه العبارة تخرج من فيه على غير ارادته :

ـ لقد كذبت عليك يا « أجات » .. لقد اتخذت هذه الحجة ذريعة لكى أفر مما يثير فزعى ورعبى !

فتناولت حقيبتها الصغيرة السوداء الجرباء ، وأخرجت منديلا فجففت وجهها ، وعادت تجابهه من جديد . وأرادت أن تحصر العقبة فى حيز صغير ، لكى تقضى عليها رأسا .. فحددت العائق بينهما ، بحدود ذلك الاتصال الجنسى ، الذى قد يرهبه جميع المقبلين عليه من الشباب بوجه عام ، دون ان تخص نفسها بالذكر .

ـ انك لتذكر ما أظهرت لى من هذا الفزع فى خلواتنا.. ليس لك أن ترهب هذه الناحية على الاطلاق ، **فلست انتظر منك شيئا ، ولن ألمسك .. لن أسألك الا ان أعيش فى ظلك وأن اخدمك .. لا شىء أكثر !**

وكان صوتها ذليلا ، ملحا ، مقنعا .

ـ لا شىء اكثر ؟! .. هذا « اللا شىء » بعينه هو الذى يثير فزعى ، مجرد وجودنا معا . فما خطر لى قط ذلك « الموضوع » ..

فجأرت ، والتاعت ، وراحت تتوسل :

ـ كلا ! كلا ! لا تقل لى انى فقدتك !٠٠ اننى أفضل الموت ٠٠

ـ انك لم تفقدينى ، فالمرء لا يفقد الا ما يملك ٠ وقد كنا دائما منفصلين منعزلين ، تفرق بيننا آماد شاسعة وهوات سحيقة !

ـ اننى اذن موضع اشمئزازك ؟ ٠٠ فلتنعم بخلاصك منى ٠ ولكن الدنىء الذى استخدمك ، لن يصل الى غرضه ٠ لن يظفر « جيل سالون » بيد « مارى دوبرنيه » !

ـ أو تظنين ؟

ـ سترون !

وجلست ، فالتمست منديلها فى حقيبتها الجرباء ٠ وكان الفتى ينتظر النهاية ، متجها ببصره الى النافذة ، غير قادر على أن يلتفت الى تلك المرأة ٠٠ وتلكأت ـ وهى تحدق فى جسمه طيلة الوقت ـ ثم نهضت قائلة وهى تخرج :

ـ ألا تخشى أن انتحر ؟

فاستدار الى داخل الغرفة ٠٠ كان قد أصبح كائنا كالأعمى لا يرى ، وكالأبكم لا ينطق ! ٠٠ ولم يأت بحركة الى ان تأكد من أنها قد انصرفت ٠ وظل واقفا أمام مرآة الخزانة يتأمل الرجل الواقف أمامه ٠

ـ ٩ ـ

ورأى جمهور المعزين « أجات » حزينة مفجوعة شقية ، فظنوا أن المصاب قد أبهظها ، وعللوا شدة تأثرها بعاطفتها نحو الفقيدة التى أوصت لها ببعض العقار ميراثا ٠

وكانت «مارى» فى مكتب أبيها حين دخلت عليها «أجات»

دون استئذان ، تسأل الفتاة أن تغادر المكان لانها أقبلت لتفضى بأمر خطير الى رب البيت ٠٠ فأبت «مارى» قائلة :

ـ لا ! ولماذا لا تتكلمين فى حضورى ؟ ان مكانى اليوم بجانب أبى ٠

وجلست « أجات » بجانب الرجل تعاونه فى تنظيم أوراقه ، ومارى ترسل اليها نظرات التحدى تباعا ٠ وعندما نهضوا لتناول العشاء ، اعتذرت مارى ٠٠ ذلك أنها كانت قد تلقت رسالة قصيرة من «جيل» ، يخبرها فيها بأنه سيكون ـ اذا جن الليل ـ على ضفة (الليرو) وقد أوقد مشعلا ، ويكفيه أن يرى بصيص سيجارتها فى حديقة الدار القائمة على الضفة الأخرى !٠٠ وهكذا خلا الجو لمدام « أجات » لتوغر صدر السيد دوبرنيه على « جيل » :

ـ هلا صحبتنى الى الحديقة ؟٠٠ لسوف نجدهما معا تحت شجرة الزنبق ٠

ـ لا ٠٠ اننى أفضل ان أجهل ذلك ٠

ـ فاذا عدت وأكدت لك اننى ضبطتهما ، هل تصدقنى؟

وكانت الليلة صافية السماء رقيقة النسيم ، فسرى فى بدن المرأة المحرومة شعور لاذع ، اذ تمثلت نعيم هذين العاشقين اللذين خرجت لتنغص عليهما ٠٠ تمثلتهما متعانقين متشابكين ، فنى كل منهما فى كيان صاحبه ٠٠ ووجد يأسها فى هذا المضض غذاء خبيثا ٠

وتلمست طريقها متسللة بين الشجر الى ملتقاهما المعهود ، فلم تجدهما ٠ ولمحتها « مارى » من مكانها ، فأهابت بها ، ودعتها الى الجلوس بجوارها ٠ فقالت لها المعلمة :

ـ ان البرد ينبعث من ماء النهير ، فاحترسى لصدرك !

ـ لا ، ان تلك النار تدفئنى ٠

ـ النار ؟ أى نار ؟

ـ هناك ، على الضفة الأخرى !

ومدت « أجات » بصرها ، فرأت شعلة تضطرب وتكاد تخبو ، ثم تذكو جذوتها وترتفع ٠

ـ أما أنا ، فالنار البعيدة لا تدفئنى ٠٠ انى أحس بك تحترقين يا مارى !

وأخذت الفتاة تعبث بسيجارتها ، وترسم فى الظلام اشارات غريبة ، واذا بغصن مشتعل على الضفة الأخرى يتحرك مجيبا ٠ وما أحس العاشقان بعمق الوصال ، كما احساه فى تلك الساعة ٠ فقد شملهما الليل ، وضمهما الى النجوم والكواكب ٠٠ وآنسا انهما يمتزجان معا ، ويمتزجان بهذه الطبيعة الساجية ٠٠ بهذا الثرى الذى احتوى رفات اجدادهما ، وهذا الفلك الحى ، وهذا البارىء الأعلى غير المخلوق !

وفهمت « جاليجاى » لغة النار ، وهى التى كانت تتلظى حقدا وكمدا ، فعادت الى الدار ٠ وسألها الأب : « هل رأيت مارى ؟ »

فأومأت بالايجاب ٠٠ وعاد يسألها : « وهل كانت بمفردها ؟ » ٠

فترددت « جاليجاى » ، ثم قالت :

ـ نعم ٠٠ ولا !

فصمت الرجل ٠٠ ولكنها لم تصمت ، بل عادت تقول :

ـ ارجو الا يكون هذا الصمت بمعنى الاذعان ٠

ـ أوه ! انك لتعلمين ٠٠ الآن وقد توفيت أمها ٠٠ لقد قال لى الدكتور سالون أمس ان خير البر عاجله !

ـ ولكنك لا تعرف هذا الفتى !

– ان مارى تحبه كما هو ... وبالنسبة لى ، هذا الفتى يعادل غيره من الفتيان !

فخفضت صوتها ودنت منه لتهمس فى أذنه :

– انه صبى مفسود غاية الفساد ، وانى أعلم عن سلوكه أشياء ..

– أية أشياء ؟

– أعلم أشياء .. ما اصعب التعبير عنها !.. اشياء من الدناءة والاسفاف .. ولكنى مع ذلك لا أستطيع تقديم البينة عليها .

فلم يتحرك الرجل ، وظل يغشيه دخان غليونه ، وبدا على « جاليجاى » الاعياء ، فلم تلبث ان قالت : « ليس لى عمل هنا منذ اليوم . انى راحلة فى الأسبوع المقبل » .

– أمجنونة انت يا « أجات » ؟

– انما انت المجنون .. ها هى ذى تلميذتى تتزوج ، فما بقائى هنا بعد ذلك ؟

فاقترب منها فى ثقل ، وقال لها :

– لا يليق أن نتحدث فى هذه الموضوعات ليلة المأتم .. ومع ذلك فانى موقن بأننا سنتصرف وفق رغبة زوجتى رحمها الله .. **لا تعارضينى . ان حياتك ستظل هى هى . اقيمى فى غرفتك ، ولن أسألك شيئا . أقسم الا ألمسك الا بارادتك .. حسبى ان أكون بمثابة اب لك !**

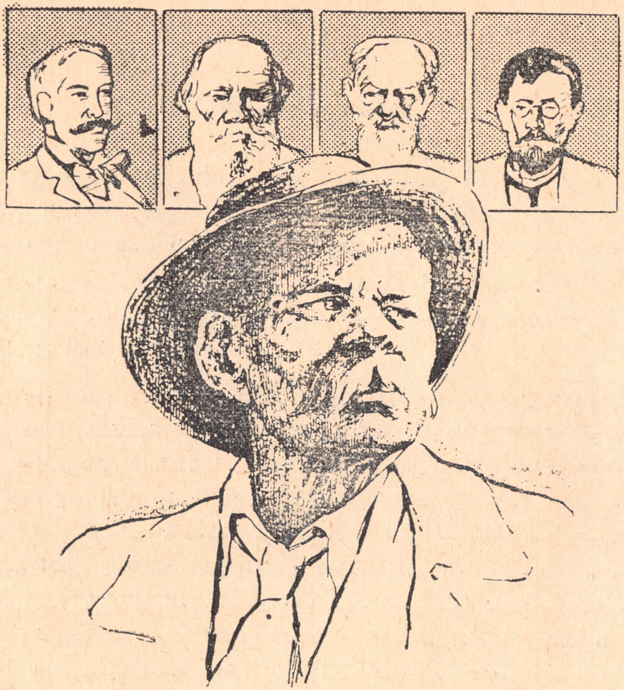
وأحست المرأة فى صدرها نفس الطعنة التى أصابها بها نيكولا حين قال لها « انك تثيرين رعبى » . وأدهشها أن جزءا من نفسها أبدى الموافقة . فهكذا سيقدر لها الظفر ، فى عرف أهل (دورت) ، وأن كانت فى صميمها خاسرة ،

مدحورة .. ولكنها بقبول هذا العرض لن تخلى ميدان القتال على كل حال ، بل ستبقى هناك لكى تثأر وتتشفى بافساد هناء « مارى » ما استطاعت .

- ١٠ -

حزم نيكولا حقيبته ليرحل اذا كان الغد .. وكانت في جيبه رسالة « جيل » ، التى اعتذر فيها من عدم قضاء تلك الليلة الأخيرة فى النزهة معه ـ كما سبق ان اتفقا ـ وعلله برجاء ان يراه فى باريس ، ليأخذ ما ترك لديه من الملابس والكتب ، ثم يعود الى (دورت) حيث تحدد لزواجه من «مارى» شهر يناير .

وخرج نيكولا الى الليل الساكن . وكانت طريق (كاستيون) تبدو كأنها امتداد لمسالك الكواكب النيرة .. ومضى هادئا لا يلوى على شىء ، منصتا الى وقع قدميه خطوة خطوة .. لم يشعر بالحاجة الى « جيل » بجواره . وسرى وحيدا ، وفى نفسه ذلك النهم الحزين الذى لن تشبعه ممالك الأرض طرا .. وحيدا يملؤه حنين مجرد عن كل وجه ... حنين عريض شاسع كالبحر المنبسط تحت نجوم ثابتة لامعة لا تفكر . وأمعن فى سراه حتى بلغ الموضع الذى يقطع فيه الطريق نهير (الليرو) . **هناك وقف غريبا عن نفسه ، لاتربطه بأى مخلوق رابطة ، فلقد تحطم صنم « جيل » ، وخلا قلبه** الكبير . ولبث فى مكانه كأنه كان على موعد .. نعم ، **لقد كان فى انتظاره سلام الله .**



لمناسبة الذكرى المئوية لمولد أديب روسيا الكبير

مكسيم جوركى

حياته ، وآراؤه ، وتجاربه .. من خلال رسائله الخاصة

بقلم : حلمى مراد

هذه الرسائل

● فى ٢٨ مارس الماضى احتفل العالم بمرور مائة سنة على مولد عبقرى الادب الروسى الكبير مكسيم جوركى ، الذى ولد فى ٢٨ مارس سنة ١٨٦٨ ، باسم « أليكسى مكسيموفتش بشكوف » فى قرية (نيجنى نوفجورود) ... فاسم « جوركى » ـ ومعناه باللغة الروسية « المر » ـ اسم مستعار ، أو اسم ادبى ، مثل أسماء كثيرين غيره من أعلام الادب الكبار فى العالم .

ومن معنى الاسم الذى اختاره جوركى لنفسه ، من معنى « المرارة » نجد مفتاح شخصية جوركى الادبية والفنية ، ومفتاح الحياة الواقعية التى ولد وعاش فيها أيضا . فقد ولد لاب عامل يشتغل نجارا للأثاث . أما جده لأمه فكان يملك دكان « كواء » ، (مكوجى) . ومنذ حداثة سنه فقد أباه ، ثم أمه ، فانقطع عن المدرسة التى لم ينتظم فيها سوى خمسة أشهر . فكانت هذه الشهور الخمسة هى كل ماأتيح له من تعليم نظامى .. أما كتابه الذى أصدره بعد ذلك تحت عنوان « جامعاتى » فهو اشارة تهكمية الى تلك الشهور الخمسة التى لم تكفه الا لتعلم « فك الخط » !.. ثم استغل هذه البداية فى التهام كل مايقع تحت يده من الصحف والكتب فى سائر الموضوعات ... فكانت الحياة وصروفها وتجاربها « جامعاته » الحقيقية التى تخرج فيها وتباهى بها ..

يعول نفسه ، منذ سن السابعة !

● ولكن الفتى اليتيم لم يكن متفرغا لترف القراءة والاطلاع ، بل كان عليه منذ سن السابعة أن يعول نفسه ويتعلم صناعة أو مهنة يأكل منها خبزه بعرق جبينه . بيد أن فطرته الفنية الخارقة جعلته فريسة للقلق والتمرد على كل مهنة التحق بها ، فصار يتنقل من عمل الى عمل،

أى من فشل الى فشل ، عشرات المرات ، فلا يدوم انتظامه أكثر من أسابيع قليلة ، أو أيام فى بعض الاحيان . وهكذا عمل اسكافا يخصف النعال ، « ومرمطونا » على باخرة نهرية ، ومساعد مصور ضوئى ، وعامل بناء ، وبائع مشروبات متجول ، وصبى بستانى ، وصبى خباز ، ومساعد عامل مساحة ، وغير ذلك من المهن .. الى أن استقر بعض الوقت عاملا فى مصنع للبسكويت ، وهناك عرف طعما جديدا للحياة ، وخلد تلك التجربة فيما بعد بصدق رائع في قصته « ٢٦ رجلا وفتاة » التى نشرها سنة ١٨٩٩ .

ولم يكن جوركى يكف عن التهام الكتب والصحف بكل وسيلة ، وعلى حساب عمله ، مما أتاح له الظفر أخيرا بمنصب كاتب محام ، فانتقل الى صفوف العاملين بأذهانهم ، وطابت له الحياة بعض الشىء ، فبدأ ينشر القصص القصار ابتداء من سنة ١٨٩٧ ، وبدأت كذلك صلته بعالم الادب والادباء وكتاب الصحف ، وصلته بالدوائر السياسية أيضا ..

وكان « الجو » العام لقصصه وكتاباته هو جو « المرارة » .. التى استعارها اسما يوقع به أعماله الصحفية والادبية ، فتخصص فى وصف البيئات المسحوقة ، وشخصيات المضطهدين المتمردين ، الذين يصارعون ظروفهم فى مواجهة الاستغلال الذى كان سائدا فى روسيا فى ذلك الوقت .

رحلاته .. ومراسلاته مع أدباء العالم

● وبعد سنة ١٩٠٠ بدأت شهرة جوركى ترسخ ، وتجاوزت حدود بلاده ، ثم رحل الى اوربا وتجول فيها وعاش فترة طويلة فى الخارج ، للاستشفاء ، فازداد اتصاله بأدباء العالم من مختلف البلاد ، وانعقدت صداقة بينه وبين « لينين » قائد الثورة التى قلبت الاوضاع فى روسيا سنة ١٩١٧

وقد ظل جوركى « بابا » الادب الثورى الروسى الى أن مات فى سنة ١٩٣٦ ، بعد حياة حافلة بالابداع والكفاح ضد داء الصدر ، وضد الفقر ، وضد التحكم فى سائر صوره ، فلم تكن علاقته بستالين « لبنا وعسلا » ، بل كانت « عسلا مرا » ، له من اسم جوركى ونزوعه للتمرد نصيب . ولولا سمعة جوركى القومية والعالمية لما اضطر ستالين لمداراته ...

وفى هذه المقتطفات من رسائل جوركى الى أكبر أدباء العالم ، وفنانيه ، (وهى الرسائل التى ننشر بعضا منها في هذا العدد ، وبقيتها في أعداد قادمة) ، صور شتى من اخلاصه وصراحته ، ومن نفاذ بصيرته وعبقريته ومن تعليقه على كبريات الاحداث ، ومن علاقاته المتعددة الالوان والزوايا بأعلام الفكر في روسيا وخارج روسيا : بتولستوى ، وتشيكوف ، وبرنارد شو ، وويلز ، ورومان رولان ، وستيفان زفايج ، ولينين ، وبفنانين ومخرجين .. وتزخر هذه الرسائل بآراء أصيلة في الحياة وفي الفن ، وفي أمانة الكاتب ورسالته عموما ، كما ان فيها اعترافات شخصية مذهلة ..

مكسيم جوركى .. فى سطور

حياته ، وانتاجه الأدبى ، ونشاطه الفنى

طفولته .. وشبابه الباكر

١٨٦٨ : ولد في ٢٨ مارس ، لأب يدعى « مكسيم بيشكوف » يعمل « نجارا » للأثاث ، وأم تدعى « فارفار » ، وأطلق الولدان على مولودهما اسم « أليكسى بيشكوف » ، وكان مولده فى مدينة (نيجنى نوفجورود) التى أصبحت تعرف باسمه « جوركى » تخليدا لذكراه .

١٨٧١ : انتقل والدا « اليكسي » الى مدينة (استراخان) حيث توفى الأب بمرض الكوليرا ، فعادت الأم بابنها الى (نيجنى نوفجورود) حيث عاشا فى كنف أبيها - جد الطفل - « فاسيلى كاشيرين » الذى كان يملك دكان كواء .

١٨٧٩ - ١٨٨٤ : فترة المران ، عمل « اليكسى » خلالها ساعيا فى محل ، ثم تلميذا لرسام ايقونات ، ثم رساما ، ورئيسا للعمال فى عدة عمليات للبناء ، ثم ممثلا احتياطيا فى عدة مسارح اقليمية .

١٨٨٤ - ١٨٨٨ : ترك « أليكسى » مدينة (نيجنى) الى (كازان) وعمل فى أرصفة بعض موانىء « الفولجا » ، وعاش فى الأزقة والحوارى ، ثم جرب حظه فى أعمال كثيرة .. وبدأ حضور الاجتماعات الثورية للشباب، فتعرف بمنظم أول خلية ماركسية فى (كازان) . ثم ذهب الى الريف لنشر الدعوة الثورية .

١٨٨٩ : فى ١٣ اكتوبر القى القبض على « اليكسى » بناء على أمر البوليس السرى ، وأرسل الى سجن (نيجنى نوفجورود) . وفى ١٦ أكتوبر أفرج عنه ، ووضع تحت رقابة البوليس السرى .

١٨٩١ : بدأ تجواله متنقلا بين أنحاء روسيا ، مارا بأقاليم نهرى « الفولجا » و « الدون » ، وأوكرانيا ، والقرم ، والقوقاز .. ثم قضى بعض الوقت فى مدينة (تفليس) ، التى تسمى الآن تبيليسي .

أول قصة تنشر له ، فى سن ٢٤

١٨٩٢ : فى ١٢ سبتمبر نشرت صحيفة « قوقاز » التى تصدر فى (تفليس) أول قصة بتوقيع «م . جوركى» وكان عنوانها «ماكار شودرا». وخلال العام غادر جوركى (تفليس) الى (باكو) ، ثم عاد الى (نيجنى- نوفجورود) .

١٨٩٣ : نشر عددا من القصص القصيرة فى صحيفة « فولزسكى

فيستنيك » التى تصدر فى (كازان) ، وفى صحيفة « فولجار » التى تصدر في (نيجنى - نوفجورود) . ثم تعرف على « فلاديمير كورلينكو » ، الذى كان يقرأ مخطوطات قصصه قبل نشرها ، ويساعده على نشر انتاجه .

١٨٩٤ : نشرت صحيفة « فولجار » قصته «الجد أرخيب وليونكا»، وروايته القصيرة « بافيل البائس » .

١٨٩٥ : غادر نيجنى - نوفجورود الى مدينة (سمارا) ، حيث عمل فى جريدة « سمارسكايا » وبذلك أصبح صحفيا محترفا ، وكان ينشر فى عدد يوم الاحد تحقيقات صحفية حول مسائل محلية ، كان يوقعها باسم « ايجوديل خلاميدا » . وفى شهر يونية نشرت مجلة « روسكوى بوجاتستفو » قصته « شيلكاش » .

زواجه .. ومرضه

١٨٩٦ : عاد الى نيجنى - نوفجورود ، حيث دعى الى العمل فى جريدة « نيجورودسكى ليستوك » . وفى ٣ أغسطس تزوج من « أكاترينا فولجينا » . وفى اكتوبر من نفس العام أصيب بالدرن الرئوى .

١٨٩٧ : ساهم فى تحرير صحف « نوفوى سلوفو » وروسكايا ميسل و « سيفيرنى فيستنيك » . ونشر فى ذلك العام القصص التالية : «كونوفالوف» ، «الخدش» ، « سوق جولتفا » ، « أسرة أورلوف » ، « مخلوقات كانت يوما رجالا » . و « مالفا » .. وغيرها . وفى ٢٧ يوليو ، ولد ابنه « مكسيم » . وفى اكتوبر بدأ كتابة روايته الطويلة « فوما جوردييف » .

١٨٩٨ : فى مارس واكتوبر ، ظهرت مجموعة من قصص ومقالات « مكسيم جوركى » فى مجلدين . وفى ٧ مايو القى القبض عليه فى نيجنى



صورة معبرة .. لمكسيم جوركي

نوفجورود وارسل الى قلعة ((ميتينج)) بناء على طلب البوليس السرى فى (تفليس) لاتصاله بأعضاء المنظمة الاشتراكية فى تفليس . وفى ٢٨ مايو أفرج عنه ، ووضع تحت رقابة البوليس فى محل اقامته .

١٨٩٩ : ساهم في تحرير مجلة ((جيزن)) أى ((الحياة)) حيث نشر قصص وروايات ((كيريلكا)) ، و ((فوما جورديبف)) ، و ((ستة وعشرون رجلا وفتاة)) ، ثم ((المزيد عن الشيطان)) .

وفى شهر مارس ذهب الى ((يالتا)) حيث كان يتردد على ((أنطون تشيكوف)) . وفى ٢٩ سبتمبر سافر الى مدينة (بطرسبرج) لاول مرة . وفى ديسمبر تعرف فى نيجينى - نوفجورود على الكاتب ((نيكولاى تيليشوف)) مؤسس الجمعية الادبية المعروفة باسم ((سريدا)) - أى ((يوم الاربعاء)) - وأصبح جوركى عضوا فيها .

١٩٠٠ : بدأت دار ((زنانى)) للنشر فى نشر مؤلفات جوركى ، ومنذ تلك السنة أصبح ((جوركى)) الزعيم الايدولوجى لهذه الدار ، ورئيس تحرير مطبوعاتها ، والمساهم الاول فيها .

وفى ١٣ يناير ، التقى بالاديب الكبير ((تولستوى)) لاول مرة فى موسكو . وفى مارس ، التقى ((بليونيد أندرييف)) . وفى سبتمبر ، وصل الى موسكو حيث حضر حفلات ((مسرح الفن)) ، وتعرف على الفنان ((فيودور شاليابين)) .

١٩٠١ : في ١٧ ابريل قبض عليه بتهمة الاشتراك في نشاط ثورى ، وفى ١٧ مايو أفرج عنه ، وحددت اقامته فى بيته . وفى ١٦ أكتوبر سمحت له سلطات البوليس بالذهاب الى جنوب القرم للاستشفاء .

العرض الأول لمسرحيته : ((الحضيض))

١٩٠٢ : فى ٢٥ فبراير أنتخب عضوا فى أكاديمية العلوم ، (فرع الادب واللغة الروسية) ، لكن القيصر نيقولا الثانى أبطل الانتخاب.

وفى ١٨ ديسمبر حضر حفلة العرض الاول لمسرحيته « الحضيض » أو « الاعماق السفلى » على مسرح الفن فى موسكو .

١٩٠٤ : فى ٢٨ فبراير منعت لجنة الرقابة فى موسكو تداول كتاب « النقد الاجنبى لاعمال جوركى » ، آخذة فى الاعتبار الاتجاهات السياسية لمؤلفات جوركى . وفى مارس صدر الكتاب الاول من السلسلة الادبية التى بدأت تصدرها دار «زنانى» التى أسسها جوركى ، وتضمنت السلسلة قصيدة « الانسان » .

١٩٠٥ : قام جوركى بدور فعال في حوادث ١٩٠٥ الثورية ، وساهم بمبلغ كبير في اصدار الصحف البلشفية . وفى ١١ يناير قبض عليه في (ريجا) بتهمة « الخيانة العظمى » لانه أصدر نداء يدعو فيه الى قلب نظام الحكم القائم فى روسيا . وفى ١٢ يناير نقل الى قلعة «بولس وبطرس» فى بطرسبرج ، حيث وضع فى الزنزانة رقم « ٣٩ » . وفى ١٢ فبراير نقل الى دار التحقيقات الاولية ، بسبب مرضه . وفى ١٤ فبراير أفرج عنه بكفالة قدرها ١٠٠٠٠ روبل بشرط أن يغادر « بطرسبرج » ، فغادرها فى نفس اليوم الى (ريجا) ، حيث وضع تحت رقابة البوليس .

وفى ٢٤ اكتوبر أقيمت حفلة العرض الاول لمسرحية « أبناء الشمس » على مسرح الفن فى موسكو . وفى نفس الشهر انتهى من كتابة « البرابرة » ثم اشترك في تحرير صحيفة « الحياة الجديدة » التى كان يرأس تحريرها « لينين » ، وكان لقاؤه الاول معه فى ٢٧ نوفمبر .

لقاؤه مع « هـ.ج. ويلز » و « مارك توين »

١٩٠٦ : قام بدور فعال في الحركة الثورية ، ثم زار سويسرا وفرنسا وأمريكا ، والتقى بالكاتبين « هـ.ج. ويلز » ، و « مارك توين » . وفى ٢٠ اكتوبر وصل الى جزيرة (كابرى) وبقى فيها حتى سنة ١٩١٣ .

وفى نوفمبر كتب مقاله المشهور « التاسع من يناير » ، ثم انتهى من

رواية ((الأم)) ، التى نشرت مئات المرات فى روسيا وفى خارجها ، وقد نشرت ٢٠٠ مرة فى الاتحاد السوفييتى ، فى ٥٤ لغة ، ونشرت فى الخارج ٢٩٣ مرة فى ٤٤ لغة .

١٩٠٧ : نشر ((الام)) لاول مرة ، وألف الرواية القصيرة ((الانسان السطحى)) ومسرحية ((النهاية)) . ومن ٣٠ ابريل الى ١٦ مايو اشترك في المؤتمر الخامس للحزب الاشتراكى الروسي في لندن ، والتقى هناك بـ ((لينين)) .

وفي نفس العام تعرف على برنارد شو ثم عاد الى (كابرى) يوم ١٩ مايو .

١٩٠٩ : صدرت روايتاه القصيرتان : ((الصيف)) . و ((بلدة لوكيروف)). وفى ٢١ يناير طلبت السلطات القضائية فى بطرسبرج البحث عن ((جوركى)) بتهمة نشر رواية ((الأم)) . ومن أغسطس الى نوفمبر ، ألقى جوركى محاضرات فى تاريخ الأدب الروسى ، فى مدرسة الحزب فى (كابرى) .

١٩١٠ : صدرت مسرحيتا ((المخبولون)) ، و ((فاسا زهيازنوفا))

١٩١١ : ساهم في تحرير جريدة ((زفيزدا)) ، ونشر ((أقاصيص من ((ايطاليا)) ، ومقالا بعنوان : ((كتاب علموا أنفسهم)) لخص فيه رسائل تلقاها من كتاب الشعب ما بين عامى ١٩٠٦ و ١٩١٠ .

١٩١٢ : نشر ((أقاصيص روسية)) ، و ((عبر روسيا)) ، وسلسلة من المقالات تحت عنوان ((من بعيد)) ، وكتب في صحيفتى ((زفيزدا)) و ((برافدا)) ، وأبلغه ((لينين)) أن جريدة ((برافدا)) تريده واحدا من بين محرريها الدائمين .

يكتب سيرته الذاتية

١٩١٣ : عاد الى الوطن، وبدأ كتابة الجزء الاول من سيرته ، بعنوان ((الطفولة)) .

١٩١٤ : في ١١ يناير وضعت سلطات البوليس « جوركى » تحت الرقابة الدائمة . وصدرت أول مجموعة من المقالات السياسية لمختلف الكتاب ، باشراف جوركى الذى كتب مقدمة لها .

١٩١٥ - ١٩١٦ : قام بمجهود ضخم في تأسيس دار النشر الديموقراطية « باروس » لنشر مجموعات من المؤلفات القومية (الارمينية واللاتفية وغيرها) . كما أصدر مجلة « لينوبيس » الشهرية الداعية الى السلام . ونشر الجزء الثانى من سيرة حياته بعنوان «أيام الدراسة»

١٩١٧ : اكتوبر . عاش جوركى أيام الثورة الأولى في موسكو ، حيث وقع خلاف مؤقت بينه وبين الحزب ، وأنتقده « لينين » بشدة لبعض اتجاهاته ، وسرعان ما اعترف «جوركى» بصواب آراء « لينين » ، وقام بدور كبير في اقامة صرح الثقافة الاشتراكية .

١٩١٨ : أنتقل الى (بتروجراد) حيث قام بنشاط ثقافي واشتراكى. وأصدر المجموعة الثانية من المقالات السياسية لمختلف الكتاب .

١٩١٩ : أسس « دار نشر الأدب العالمى » لنشر مؤلفات أبرز كتاب أوربا وأمريكا ابتداء من القرن ١٨ حتى ذلك التاريخ . وصدرت مجموعة من تلك الكتب مصدرة بمقدمات بقلم جوركى .

١٩٢١ : أصيب بتدهور حاد في صحته نتيجة الدرن ، وأصر «لينين» على سفره الى الخارج ، فسافر الى ألمانيا في أكتوبر للعلاج .

١٩٢٣ : صدرت مجموعة مؤلفات جوركى من دار النشر الألمانية « كنيجا » (١٩٢٣ - ١٩٢٤) ، وقد راجع جوركى كل مؤلفاته التى نشرت في تلك المجموعة . وفي شهر مارس بدأت مجلة « كرازنايا نوف » الشهرية فى نشر الجزء الثالث من سيرته الذاتية بعنوان « جامعاتى ». وفى ٢٧ نوفمبر وصل الى مدينة (براغ) ، فوضعته السلطات تحت الرقابة السرية .

١٩٢٤ : شرع في كتابة رواية « أسرة أرتامونوف » ، كما نشر له كتابان ، هما : « شذرات من مفكرتى » ، و « ذكريات » ... وبدأت دار

« جوسيزدات» في نشر أول مجموعة تنشر في الاتحاد السوفيتى من اعماله الكاملة .

وفى ٤ فبراير أتم كتابة ذكرياته عن لينين ، وفى ٥ أبريل غادر براغ الى فينا ، ثم الى ايطاليا .

١٩٢٥ : أنتهى من كتابة « قصة أسرة أرتامونوف » .

١٩٢٦ : بدأ كتابة الجزء الاول من رواية « حياة كليم سامجين ». وتابع كعادته تيارات الحركة الادبية في وطنه بعناية ، وواصل مراسلاته المتعة مع الادباء السوفييت .

١٩٢٧ : فيشهرى مايو - يونيو بدأ نشر « حياة كليم سامجين »

عودته الى وطنه ، والاحتفال ببلوغه « الستين » .

١٩٢٨ : واصل الكتابة فى « حياة كليم سامجين » ، ونشر مجموعة من المقالات والدراسات النقدية . ثم عاد الى الاتحاد السوفيتى بعد غيبة ست سنوات . وفى ٢٨ مارس احتفل بالذكرى الستين لمولده ، وكان للاحتفال بهذه الذكرى صدى واسع في انحاء روسيا .

١٩٢٩ : فى ٢٣ اكتوبر ذهب الى (سورنتو) بايطاليا للاستشفاء.

١٩٣٠ - ١٩٣١ أشترك في تحرير عدد من المجلات في روسيا ، منها : « ناشى دوسنجنيا » و « ناسترويك » ، و « ليتراتورنايا أوشوبا » و « زاروبيجوم » .. كما نشر الجزء الثالث من « حياة كليم سامجين » ، و « قصص عن الابطال » ، وعددا من المقالات والدراسات النقدية .

١٩٣٢ : انتهى من تأليف مسرحية « ييجور بوليشوف وآخرون » ثم أصدر سلسلة من المطبوعات : « تاريخ المؤسسات والمصانع » ، «تاريخ الحرب الاهلية » ، ثم « تاريخ شباب القرن التاسع عشر » ، وساهم بجهد كبير فى دار النشر الاكاديمية . وفى ٢٢ مارس نشر مقاله المشهور « ياسادة الثقافة ! فى أى جانب تقفون ؟ »

وفي ٢٧ ابريل وصل الى موسكو عائدا من ايطاليا ، وفي ٥ يوليو

أعلنت ((المجلة الأدبية)) بدء نشر سلسلة فصول عن حياة المشاهير يساهم جوركى في تحريرها . وفي ٢٠ أغسطس أنتخب جوركى رئيس شرف للجنة التأسيسية لاتحاد الكتاب السوفييت .

١٩٣٣ : نشر مسرحية ((دوستيجاييف وآخرون)) وعدداً من المقالات، وساهم في تحرير الكثير من المجلات ، كما أعطى مزيداً من الاهتمام لسلسلة ((سير المشاهير)) و ((مكتبة الشاعر)) ومنتخبات ((السنة السادسة عشرة))

يفجع فى ابنه .. ثم يلحق به

١٩٣٤ :واصل الكتابة في رواية ((كليم سامجين)) ، ونشر مجموعة من المقالات ، وأشرف على اصدار عدة كتب ومنشورات دورية مختلفة .

وفى ١١ مارس توفي ابنه ((مكسيم بيشكوف)) عن ٣٧ عاما .

فى ١٧ أغسطس أفتتح المؤتمر الأول للكتاب السوفييت،والقى تقريرا عن الأدب السوفيتى .

١٩٣٦ : واصل الكتابة فى رواية ((كليم سامجين)) ، واشترك فى اصدار مخطوطات ومنشورات دورية متنوعة ، وقام بمراسلة عدد كبير من الأدباء والشخصيات البارزة ..

وفى ٣٠ مايو أصيب ببرد فى مسقط رأسه (جوركى) نيجنى نوفجورود سابقا - بالقرب من موسكو .

وفي ٦ يونيو صدرت أول نشرة طبية عن صحة جوركى .

وفى الايام من ٦ - ١٧ يونيو أشتد المرض على جوركى .

وفي ١٨ يونيو اسلم مكسيم جوركى الروح فى الساعة ١١٫٣٠ صباحا، ونقل جثمانه الى موسكو حيث عرض في ((بيت الأعمدة))

وفي ٢٠ يونيو شيعت جنازته من الميدان الأحمر بموسكو ، واشترك عدد من أعضاء الحكومة والكتاب فى تأبينه . وفى الساعة ٦٫٤٧ مساء دفن رماد جثمانه فى جدار قصر ((الكريملين)) .

الى تولستوى

- ١ -

موسكو ، فى ٢٥ أبريل سنة ١٨٨٩

ليو نيقولائيفتش (تولستوى)

عندما قدمت لزيارتك فى (ياسيانا بوليانا) (١) وفى موسكو ، قيل لى انك مريض ولا يمكنك مقابلتى ، فرأيت أن أبعث اليك برسالة .

ان كثيرا من العاملين على الخط الحديدى (جريازى - نزارتيزين) ، ومن بينهم كاتب هذه الرسالة قد سيطرت على عقولهم فكرة الاستقرار فى الريف واحتراف مهنة الزراعة لحسابهم الخاص ، ولكن بالرغم من أن كل واحد منا يتقاضى أجرا شهريا قدره حوالى ثلاثين روبلا الا أن مدخراتنا لا تستحق الذكر ، مما سيجعلنا ننتظر طويلا حتى نتمكن من جمع المبلغ اللازم للبدء فى اقامة المزرعة .. لذلك رأينا أن نتقدم اليك ملتمسين مساعدتك باعطائنا قطعة أرض من المساحات الشاسعة المتروكة بورا دون زراعة .

وفضلا عن مساعدتك المادية البحتة فاننا نطمع أيضا فى مساعدتك المعنوية بنصائحك وارشاداتك التى ستيسر لنا سبيل الوصول الى غايتنا ، كما أننا واثقون من موافقتك على تزويدنا ببعض كتبك المحرمة والممنوع بيعها مثل كتاب « اعتراف » و « عقيدتى » .

ان لنا وطيد الأمل فى أنك - على الأقل - سترسل لنا

---

(١) « ياسيانا بوليانا » هو اسم الضيعة التى كان يملكها تولستوى فى الريف ، ويعيش فيها حين يغادر العاصمة موسكو .



مكسيم جوركى الشاب ، مع تولستوى الشيخ ، فى ضيعة الأخير
المشهورة : « ياسيانا بوليانا »

ردا ، ســـواء بدت لك خطتنا جديرة بعنايتك وتأييـــدك ، أو تافهة وطائشة ، لأن الرد لن يستغرق سوى القليل من وقتك . واذا رغبت فى معرفة المزيد عنا وعما أنجزناه من عمل لتحقيق خطتنا فيمكن لواحد أو اثنين منا التوجه لمقابلتك . اننا نعول عليك فى مساعدتنا .

بالنيابة عنا جميعا

اليكسى مكسيموفيتش بيشكوف

(مواطن من نيجنى ـ نوفجورود)

- ٢ -

(نيجنى ـ نوفجورود) فى ١٨ يناير سنة ١٩٠٠

ليو نيقولائيفتش (تولستوى)

أشكرك شكرا حارا على ما قلته لى ، كما أننى فى غاية الفخر والسرور لمقابلتك . لقد كنت أعلم بصفة عامة أن لك طريقة بسيطة وودية فى لقائك للناس ، ولكننى اعترف لك بأننى لم أكن أنتظر منك مثل هذا العطف على .

أرجوك أن تهدينى احدى صورك الفوتوغرافية اذا كان ذلك من عادتك . أتوسل اليك أن تعطينى احداها .

ان صحتى ليست على ما يرام .. ولقد كنت على وشك الحضور لرؤيتك ثانية ، ولكننى ملقى على ظهـــرى من شدة السعال ومن آلام الصدر .

مع تمنياتى الحارة ..

المخلص

ا . م . بيشكوف

عنوانى هو : « ٢٠ شارع بوليفايا ـ نيجنى نوفجورود »

- ٣ -

(نيجنى ـ نوفجورود) ، فى ١٤ فبراير سنة ١٩٠٠

ليو نيقولائيفيتش (تولستوى)

أشكرك على اهدائى صورتك ، وعلى الكلمات الرقيقة التى وصفتنى بها . اننى لا أدرى هل أنا حقيقة أفضل من كتبى ، ولكننى أعلم أن كل كاتب يجب أن يكون أرفع وأسمى مما يكتب .. ثم ، دعنا نتساءل : ما الكتاب ؟ ان أى كتاب ـ حتى الممتاز ـ هو مجرد ظل للحقيقة ، أما الانسان فهو الوعاء الحى لله ، الوعاء الذى يكافح دون أن يقهر فى سبيل الكمال والحق والعدالة ! **ومن ثم فان أى انسان مهما كان سيئا فهو فى نظرى أفضل من أحسن كتاب . أليس الأمر كذلك ؟ اننى مقتنع تماما بأن الانسان أفضل شىء على وجه الأرض .**

كنت أود الحضور لزيارتك مرة أخرى ، الا أنه يشق على عدم قدرتى على ذلك فى الوقت الحاضر ، لأننى أعمل بكل طاقتى ، (بالرغم من السعال وآلام الرأس المبرحة) ، كى أنتهى من قصتى عن دعاة الفلسفة الخبثاء الذين اعتبرهم من أحط أنواع الانسان !

يجب أن أتوقف الآن عن الكتابة ، خوفا من اجهادك فى القراءة .

أبعث اليك بتمنياتى الحارة واحتراماتى للعائلة ، متمنيا لك صحة جيدة .

« ا . بيشكوف »

الى أنطون تشيكوف

- ٤ -

(نيجنى - نوفجورود) ، فى ٢٠ نوفمبر سنة ١٨٩٨

المحترم انطون بافلوفيتش (تشيكوف)

أشكرك بحرارة على ردك على رسالتى ، وعلى وعدك بمعاودة الكتابة ثانية ، الأمر الذى انتظره بفارغ الصبر ، كما أنتظر رأيك فى قصصى .



جوركى .. مع تشيكوف

منذ عدة أيام ذهبت لمشاهدة مسرحيتك «الخال فانيا» ، وقد بكيت ، وأنا أشهدها ، كالمرأة العجوز ! وبالرغم من أننى لست عصـــبيا ، الا أننى عدت الى المنزل بعد التمثيل بعقل مشوش من تأثير روايتك ، وحررت لك رسالة طويلة ، لكنى عدت فمزقتها .. اذ من المستحيل أن أصف - بوضـوح ودقة - المشاعر التى تصيب النفس من تأثيرها . لقـد كنت أشعر أثناء متابعتى للممثلين على خشبة المسرح ، كأن جسدى ينشق بمنشار ثالم تصل أسنانه مباشرة الى قلبى الذى يئن من الألم ثم ينفطر ويتمزق . انها شىء هائل بالنسبة الى ، كما أنها نوع جديد فى فن الدراما ، فهى كالمطرقة تدق بها على رؤوس الجماهير الفارغة التى لا يقهر برودها والتى لا تفهمك بالمرة ، سواء فى تمثيلية « طائر النورس » أو « الخال فانيا » ، ولكن هل ستكتب تمثيليات أخرى ؟ انك تكتبها ببراعة تنم عن موهبة فائقة . ولقد اصابتنى رعشة من شدة اعجابى بذكائك فى الفصل الأخير من «الخال فانيا» عندما بدأ الطبيب يتحدث بعد فترة صمت طويلة عن الحرارة فى أفريقيا، كما ارتجفت فزعا من مصير الناس ، ومن حياتنا التعسة التى لا لون لها .. كم كان وقع ضربتك شديدا على النفس ، وكم أحسنت تصويبها ! ان لك موهبة فائقة ، ولكن ما الذى تقصده بمثل هذه الضربات؟ أتراها ستعيد الانسان مرة أخرى الى الحياة ؟ اننا فى الحقيقة قوم تعساء ، متعبون ، تعافنا النفس ! .. ولكن البشر ، مع ذلك ، يستحقون العطف والشفقة ، فها أنا ذا قد بكيت عندما شاهدت « الخال فانيا » ، بالرغم من اعتقادى بأن البكاء نوع من الغباء ، وان التحدث عنه أشد غباوة !

.. ويبدو لى أنك فى هـذه التمثيلية أشد برودة مع الجمهور من الشيطان نفسه ، كما أنك تبدو - من فرط عدم مبالاتك به - كالثلج أو كالعاصفة الثلجية ! (أرجو قبول اعتذارى فربما أكون مخطئا ، ولكننى على العموم أتحدث بوحى من انفعالى الخاص وحده ، فمنذ مشـاهدتى لمسرحيتك وأنا أشعر بخوف وتعاسة كاللذين شعرت بهما ذات مرة فى طفولتى عندما كنت أقوم بنفسى بزراعـة ركن صـغير من حديقتنـا بالزهور التى بدأت تنمو وتترعرع ، فلما توجهت لريها وجدت حوض الزهور مقلوب التربة ، والزهور فيه تالفة ، وشاهدت خنزيرا مريضا يرقد فى وسط الحوض على سيقان الزهـور المهروسة ، ولم يكن سـوى خنزيرنا الذى انكسرت ساقه الخلفية .. وكانت السماء يومئذ صافية ، والشمس الملعونة ترسل أشعتها بهمة غير مألوفة ، وبدون اكتراث ، على خرائب جزء من قلبى !) .

.. اذا كنت قد ذكرت شيئا خاطئا وغير صحيح فأرجو ألا تتـكدر منى ، فأنا رجل جاف خشـن الطبع ، ولى روح مريضة لا يرجى لها شفاء ، وبهذه المناسبة ، هذا ما ينبغى أن تكون عليه روح كل انسان مفكر ...

أتمنى لك صحة جيدة ورغبة فى العمل ، ومهما مدحتك فأنت لا تحظى بالتقدير أو الفهم الكافيين ، ولا أود أن أقدم الدليل على صحة هذا القول .

« ا . بيشكوف »

- ٥ -

نيجنى نوفجورود ، فى ٦ ديسمبر سنة ١٨٩٨

أنطون بافلوفيتش (تشيكوف)

كل ما ذكرته فى رسالتك الرقيقة بخصوص الكلمات النزقة التى أستعملها صحيح ، والحقيقة أننى لا أستطيع الاستغناء عنها ، لخوفى من أن تبدو كتابتى فظة ٠ هذا بالاضافة الى أننى دائما فى عجلة ، وصقلى لأعمالى مازال سيئا ، والأسوأ منه أننى أعتمد كلية فى معيشتى على ما أربحه من أعمالى الأدبية التى لا أتقن سواها ٠٠

اننى أبلغ من العمر ثلاثين عاما ، وقد ثقفت نفسى بنفسى ، ولا أعتقد أننى سأصبح أحسن حالا مما أنا عليه الآن ، وأدعو الله أن أستمر على هذا المستوى الذى وصلت اليه ، والذى يكفينى بالرغم من أنه ليس عاليا ، وعلى العموم فان مظهرى لا يسترعى الاهتمام ٠٠ أما أنت فالأمر بالنسبة لك مختلف تماما : فمواهبك مشهود بها ، وقولك بعدم رغبتك فى الكتابة ثانية للمسرح يجبرنى على أن أقول لك بضع كلمات : فعندما شاهدت روايتيك « طائر النورس » و « الخال فانيا » ، فكرت فى الحياة ، وفى الجمال الذى يغزو حياة الناس التعسة الشقية ، كما فكرت فى أشياء أخرى كثيرة وهامة ، وهذا ما لا يحدث لى فى المسرحيات الأخرى ، فهى لاتشد الناس من الواقع الى جو فلسفى كما تفعل مسرحياتك ٠٠

٠٠ والآن ، أرجو المعذرة لثرثرتى ، ولكنك اذا توقفت عن كتابة الدراما فسوف تندم على ذلك ، لأنه حتى الآن لم يوجد لك مثيل فى الأدب الروسى ، ونحن نعتبرك أثمن وأعظم صورة لهذا الأدب ٠ ان اعجابى بأعمالك الأدبية يفوق اعجابى بأعمال الكاتب الفرنسى « موباسان » التى أحبها كثيرا ، ولا أدرى كيف أعبر لك عن مدى اعجابى بك ٠ وصدقنى اذا قلت لك ان الكلمات تنقصنى ، فأنت تمتلك موهبة عظيمة أدعو لك بدوامها طويلا ٠٠

- ٦ -

(نيجنى - نوفجورود) ، فى ٢٨ أبريل سنة ١٨٩٩

كانت رسالتك فى منتهى اللطف ، وأصارحك القول بأننى لم أتصور أن يكون رأى « ليو نيقولائيفتش » (تولستوى) فى شخصى على هذا النحو . ولقد أحسنت صنعا بالتحدث معه عنى . وأحسنت كذلك باخبارى بمضمون هذا الحديث ، لأننى كنت أود منذ مدة طويلة أن أعرف رأى تولستوى ، بالرغم من خوفى من ذلك . أما الآن وقد عرفت رأيه ، فاننى تذوقت قطرتين من عسل النحل ، أحداهما منك والأخرى منه ، ولا رغبة لى بعد ذلك فى مزيد . للأسف لا يمكنني الحضور الى موسكو ، لأن رجال الشرطة أثاروا ضجة كبرى عندمـــا علموا بأننى أمضيت ليلة فيها ، ولكنى لا أعتقد بأنه سيصيبنى أذى ، لأن القضية التى اشتركت فيها سوف تنتهى قريبا . وعلى العموم فان أقصى ما يمكنهم عمله هو ارســـالى الى المنفى لمدة عام أو عامين ، بيد أنى أرجح أنهم لن يفعلوا شيئا من ذلك .. أننى أكاد أبكى من شدة الغضب لعدم قدرتى على الحضور الى موسكو ، ولا يمكنك أن تتصور مدى ضيقى بالحياة تحت رقابة الشرطة المستمرة .. يحضر رجلهم اليك ويجلس فى منزلك وهو مرتبك من واجبه الكريه ، ويسألك عن أى شىء يختاره ، مثل : من حضر لزيارتك ؟ ومن أين جاء ؟ والى أين هو ذاهب ؟ ولماذا ؟ .. وهو متأكد سلفا فى الواقع انك ستكذب عليه ، وبسبب تأكده هذا تشعر بغيظ وحنق ، وبجرح لاحساسك ، ثم .. لا شىء بعد ذلك !

يؤلمنى التفكير فى المجىء الى موســـكو والذهاب معك لمشاهدة تمثيلية « طائر النورس » لأنه لا توجد قوة على سطح

الأرض تجعلنى أقبل الجلوس الى جوارك فى المسرح . اننى أنصحك بعمل الآتى : اطرد الجميع واجلس بمفردك لمشاهدة المسرحية ، ثم أرجوك أن تكتب لى بعد ذلك يا عزيزى أنطون بافلوفيتش عن انطباعاتك ، بدون أن تهتم بأن المسرحية من تأليفك ، وتخبرنى بصراحة هل أعجبت بها على خشبة المسرح ؟ وأى جزء منها نال المزيد من اعجابك ؟ .. وأن تخبرنى عن طريقة أداء الممثلين لأدوارهم .. ويخيل الى أنك ستشاهد المسرحية بطريقة ما كأنها من تأليف شخص سواك ، وسوف تتأثر منها كثيرا ..

أنطون بافلوفتش ..

هناك شىء آخر أود سؤالك عنه . هل تنوى الحضور الى (نيجنى) ؟ لاتتردد فى الحضور لأنها فى منتهى الجمال الآن، على وجه الخصوص ، والنهر فائض .. والمكان لدينا فسيح ، ولذلك فانك سوف تقيم معنا ، فى منزلنا . ان زوجتى امرأة صغيرة الجسم وفى منتهى البساطة والطيبة ، وهى مغرمة جدا بك ، وعندما أخبرتها بأنك ما زلت « أعزب » اعتبرت هذا ظلما واجحافا ، واساءة لحقت بك .. وأغرورقت عيناها بالدموع حزنا عليك ! .. حاول الحضور فسنلقاك كأحد أفراد العائلة . انى فى انتظارك ..

- ٧ -

(نيجنى - نوفجورود) ، فى ٥ يناير سنة ١٩٠٠

أتمنى لك عاما سعيدا ..

ان حياتى سخيفة كالمعتاد ، ونظرا لشعورى باعياء شديد فقد قررت السفر الى (يالتا) فى أواخر شهر مارس أو خلال ابريل ، ما لم أمرض قبل ذلك . وددت لو أتمكن من

الحياة بطريقة تختلف تماما عن طريقة حياتى الحالية ·· حياة أكثر نشاطا ، والأهم من ذلك أن تكون ذات نبض أسرع · لقد شاهدت أخيرا عرضا لمسرحية « الخال فانيا » كان فيه التمثيل رائعا (وأنا دائما أشيد بروعة التمثيل عندما أشاهد مسرحية تعجبنى ، وهذا يرجع الى جهلى بفن التمثيل !) · ولكن الحقيقة أن مسرحيتك هذه قادرة على جعل أسوأ الممثلين يقومون بأدوارهم على أكمل وجه ، ثم ان هناك مسرحيات لا يمكن أن يؤثر فيها سوء التمثيل · وقد حدث منذ مدة انى شاهدت تمثيلية « سلطان الظلام » (لتولستوى) على مسرح « مالى » وكنت أضحك عند استماعي اليها ، اذ أعجبتنى بعض الشىء ، أما الآن فانى أجدها كريهة تعافها النفس ، كأنها صورة هزلية ، ولن أذهب ثانية لمشاهدتها ·· ومرجع هذا الى أداء الممثلين لأدوارهم ، فقد ركزوا بدون رحمة على الجانب الفظ والسخيف منها ·

·· وهذا الذى أقوله عن فن التمثيل يمكنك أن تقوله أيضا عن الموسيقى ، فان أى عازف كمان ضعيف يمكنه أن يعزف جيدا مقطوعة ممتازة ، بينما لو عزف أمهر عازف مقطوعة تافهة ، فانها تزداد قبحا !

·· كنت أقرأ أخيرا قصتك «السيدة» ، فهل تعلم مالذى تفعله انت الآن بالآدب ؟ انك تقتل الواقعية ، وهى الشىءالذى بطل استعماله ، ولكن لا يمكن لأحد سواك أن يقطع ما قطعته أنت فى هذا الطريق ، ولا أن يكتب ببساطة كما تكتب فى مثل هذه الموضوعات البسيطة ·· وانى ـ بغير شك ـ أعتبر أى عمل آخر اذا ما قورن بأقل قصة من قصصك عملا جافا ، كأنما تمت كتابته بعصا لا بقلم !

والحقيقة أن الوقت الذى نحتاج فيه الى العمل البطولى قد أزف ، **فكل فرد منا يحتاج الى شىء مثير ومنعش يختلف تماما عن حياتنا الحالية ، شىء أكثر مجــدا وعظمة وجودة وجمالا ، لذلك أصبح لزاما على الأدب المعاصر أن يبــدأ فى المساهمة فى تنميق الحياة قليلا • وعندما نبدأ فى ذلك ستصبح الحياة أكثر جمالا ومتعة ، وسيعيش الناس بايقاع أسرع ، وبوضوح يفوق ما يكتنفهم اليوم ، لأنك لو نظرت اليهم الآن لوجدت عيونهم التعسة الثقيلة مملوءة بالكآبة والبرود •**

انك تقوم بعمل رائع بكتابتك للقصص القصيرة ، فانها توقظ فى الناس النفور من الحياة المملة التافهة التى هى أقرب الى الموت منها الى الحياة ، والتى أتمنى أن يبددها الشيطان • لقد حركت عواطفى قصة « السيدة » لدرجة أننى شعرت بألم ورغبة فى السباب ، وكأننى خائن لزوجتى ، (ولو اننى لم أخنها وانما تشاحنت معها فقط ، كما تشــاحنت مع صديقى المخلص زوج أختها) •• ان قصصك أشبه بقوارير من البللور الشفاف مملوءة بكل عطور الحياة ، تشم منها الأنف المدركة أفخر الروائح والطفها وأصحها •• ولكن يكفينا هذا القدر من الحديث فى هذا الموضوع ، والا حسبتنى أداهنك !

سوف أدرس جيدا فكرتك الرائعة التى ذكرتهــا فى رسالتك عن جمع أحسن قصصى فى كتاب ، بالرغم من عدم موافقتى على رأيك بأن قصة « الرفيق » قصة جيــدة • لأن مثل هذا الموضوع كانت تمكن معالجته بطريقة مختلفة تماما •• وعلى العموم أرجوك أن تعد قائمــة بالقصص التى تراها مناسبة • والواقع ان موقفك تجاهى عجيب جدا ، بل مذهل ، وغير معقول •• وخطاباتك التى أنا شغوف بها تؤثر فى تأثيرا

عجيبا ! ·· أرجو قبول اعتذارى ، فان أفكارى مشتتة ، ولكن الواقع أننى كلما كتبت اليك أشعر برغبة شديدة فى أن أكتب شيئا يفرج عن نفسك ويدخل عليك السرور ، ويجعل الحياة أسهل فى هذه الدنيا التعسة ·· **اننى لا أصدق ما قيل لى من أنك ستتزوج ، وانك تفكر فى ممثلة لها اسم أجنبى ، فاذا كان الأمر صحيحا فلتكن على ثقة من أن ذلك يسرنى جدا ، لأننى أفضل الزواج ، خصوصا اذا لم تكن الزوجة باردة أو متطرفة · وأفضل ما فى الزواج انجاب الأولاد · وبهــذه المناسبة ، لى ولد خبيث وشقى ولكنه فى منتهى الذكاء ، سوف تراه عندما أحضره معى فى الربيع القادم · وقد تعلم منى الكثير من ألفاظ السباب التى اعتاد أن يوجهها الى كل من يقابله ، وأصارحك بأننى فشلت فى تقويمه ! ·· أليس من المضحك أن تسمع وغدا صغيرا لا يزيد عمره على السنتين وهو يصيح فى والدته بأعلى صوته : « أخرجى من هنا » !؟**

ختاما ، والى أن نلتقى ، أبعث اليك بتحياتى · لسبب ما لم تظهر روايتى « فوما » حتى الآن · هل قرأت ما يمدحك به الألمان ؟ لقد كتب أخيرا أحد النقاد فى (سانت بطرسبرج) يقول ان مسرحية « الخال فانيا » أفضل من « طائر النورس » ·· وربما كان هذا صحيحا ، ولكنه أمر يصعب القطع به · أرجو أن تكتب الى ··

« ا · بيشكوف »

- ٨ -

نيجنى - (نوفجورود) ، فى ٢١ يناير سنة ١٩٠٠

أخيرا توجهت لمقابلة ليو نيقولائيفتش (تولستوى) وكان ذلك منذ ثمانية أيام ، وحتى الآن لم أتمكن من حصر

التصفيق اهانة لهم ٠٠ هل رأيت « سيرانو دى برجراك » على المسرح ؟ لقد شاهدتها أخيرا وانتشيت بها جدا :

« هاهم قادمون أبناء غسقونيا الأحرار »
« المولودون تحت سماء الجنوب الحرة »
« ان شراييننا تنبض بأشعة الشمس والسعادة »
« كما يملأ ضوء الشمس أعيننا »

اننى معجب جـدا بهـذا الشطر من البيت : « شرايين تنبض بأشعة الشمس » ٠ هكذا يجب أن نعيش جميعا ، مثل « سيرانو » وليس مثل « الخال فانيا » والآخرين ٠

ولكن يظهر اننى أجهدتك ، فالى الملتقى ٠٠

اننى ملازم للفراش بسبب اصابتى بالتهاب فى «البلورا» مع سعال شديد وآلام فى جنبى ، لايغمض لى جفن بسببها طول الليل ، ولا بد من سفرى فى الربيع للاستشفاء فى (يالتا) ٠٠

« ا٠ **بيشكوف** »

- ٩ -

(نيجنى ـ نوفجورود) ، فى ١١ أكتوبر سنة ١٩٠٠

٠٠ ذهبت الى (ياسـيانا بوليانا) ، مقر تولسـتوى ٠ يا لله ! كم هم لئام هؤلاء الناس المحيطون به ! ٠٠ لقد أمضيت هناك نهـارا كاملا ، تمكنت خلاله من مراقبة هـذه الطغمة المريعة من الأفاقين الذين كان من ضمنهم أحد مديرى البنوك، وهو ـ فيما يزعم ـ نباتى لا يأكل اللحوم ولا يدخن ، وعندما يتحدث عن الفسـاد والفجور المنتشرين فى الطبقة الراقية يمسك رأسه هولا ! ٠٠ وبعد أن راقبته جيدا انتابنى شعور لاأدرى له سببا بأنه مدمن خمر ، وشره ، ومعتاد على التردد

انطباعاتى عنه ، لقد صدمنى مظهره الخارجي ، اذ كنت أتصوره طويل القامة عريض المنكبين ، بعكس ما رأيته : فهو رجل عجوز صغير الجسم ٠٠ ولكن بمجرد أن بدأ فى حديثه وجدت نفسى مصغيا اليه باعجاب ، فكل ما قاله كان بسيطا وعميقا ، وقد بدا لى كأنه « فرقة موسيقية » كاملة ، لا تعزف بايقاع واحد ٠ ومن الغباء أن نطلق عليه وصف « عبقرى » ، وانما الأنسب أن ندعوه « ليو تولستوى » فحسب ، لأنه لا يشبه انسانا آخر ، ولا يشبهه انسان ! ٠٠ هذا بالاضافة الى أنه مؤثر جدا ٠ ان مقابلته أمر هام ومفيد ، لأننى أعتبره من معجزات الطبيعة ، وعندما تنظر اليه تشعر بسرور لأنك أيضا انسان مثله ، ولأن الانسان يمكنه أن يرتقى الى مستواه ٠ هل تفهمنى ؟ ٠٠ لقد كان لطيفا جدا معى ، وكل شىء فيه متناسق مع بعضه وجميل للغاية : كلامه ، وطريقته فى الحديث ، وفى الجلوس ، وفى نظراته اليك ٠ لقد أمضيت معه أكثر من ثلاث ساعات ، ذهبت بعدها الى المسرح خلال الفصل الثالث من مسرحية « الخال فانيا » مرة أخرى ٠٠٠ نعم ، مرة أخرى ، وسأذهب لمشاهدتها مرة ثالثة ، بعد أن أحجز تذكرتى مقدما ٠ أننى لا أعتبرها لؤلؤة ولكننى أرى فيها أشياء أكثر مما يرى الجمهور ، فمحتوياتها عظيمة ، ورمزية ، وصيغتها ذات أصالة ، وعلى العموم فهى عمل رائع ٠ والواقع اننى لم أكن أتصور تمثيلا أو عرضا بهذا المستوى ٠ أنه رائع ، ويؤسفنى جدا عدم اقامتى فى موسكو حتى أتردد على المسرح دائما ٠ لقد شاهدت أخاك هناك وهو يقف مصفقا ٠٠ أننى لا أصفق أبدا للممثلين ، لاعتبارى

على الحانات فى موسكو • وبعد انتهاء السهرة انصرفنا سويا ، وفى طريقنا الى المحطة اذ به يشعل سيجارة ويدخنها بشغف وسرور ، ثم انتقد النباتيين وسخر منهم بطريقة مزرية • وكانت ابنته ترافقنا ، وهى فتاة جميلة لا تتعدى السابعة عشرة من عمرها ، تبدو عليها العفة والطهارة • وفى أثناء انتظارنا للقطار فى المحطة ، واستجابة لاقتناعى الملح بكذبه ونفاقه ، تحدثت معه عن حانة « لاومون » ، **وفى الحال ظهر على حقيقته واتضح لى أنه معتاد على التردد على الحانات ، كما زعم انه أنقذ ذات مرة فتاة من هناك من بين أيدى رواد الكازينو ، وأنه نقدها تسعمائة « كورون » نظير توبتها ! •• لقد كذب هذا الأفاق على ، فهو لم يعطها هذا المبلغ نظير توبتها ! •• وكم كان كريها ترديده لمثل هذه الأقاصيص فى حضرة ابنته الصغيرة الطاهرة !**

كذلك التقيت هناك برجل آخر تبدو عليه سمات التجار، يشبهه تماما فى سفالته وخسته وسلوكه • ان خادم « ليو تولستوى » عنده من الكرامة أضعاف ماعندهم ،مما يجعله فى نظرى أفضل منهم • ان هؤلاء الناس ولدوا عبيدا ، يزحفون على بطونهم ويتظاهرون بالانجذاب الروحى وهم على استعداد لتقبيل كعبى حذاء تولستوى • ان كل هذا زور ونفاق لا داعى لهما ، فلماذا يذهبون اليه ؟ انهم يزحفون فى الشمس كالعقارب ، التى بالرغم من أنها حشرات ضارة الا أنها صامتة ، بينما هؤلاء الناس يتحدثون بجلبة وضوضاء شديدين •• انه لوضع تعافه النفس !

ولقد أعجبت جدا بالكونتة ، زوجة تولستوى ، التى لم

تكن تعجبنى فى بادىء الأمر ، أما الآن فقد وجدت فيها المرأة القوية المخلصة والأم الحارسة الأمينة على مصالح أولادها ٠ وقد تحدثت معها طويلا ، وقصت على تاريخ حياتها التى لم تكن سهلة بالمرة ٠ وأعجبنى منها قولها : « لا أطيق أنصار تولستوى ،انهم يمرضوننى بريائهم وأكاذيبهم !٠٠ » وهى لاتخشى ترديد هذه الكلمات فى حضورهم ، مما يزيد فى وقع كلماتها وقيمتها ٠

أما ابن الكونت ليو فلم يعجبنى اطلاقا ، فهو انسان غبى متعال ، كالنجم المذنب الذى لايوجد له مدار خاص به ، والذى يبدو تافها فى ضوء الشمس التى يدور بغباء حولها ٠ وقد وجدت أعماله تافهة ، كأنها مواضيع انشاء ساذجة كتبها تلميذ صغير ، كما انها لاتناسبه بالمرة ٠٠ ولكن لما بدأ والده يتحدث أصبح الحديث شيقا وممتعا، وواضحا وحقيقيا ومؤثرا٠ ثم عندما لخص قصة « الأب سيرجى » كان مذهلا فى تأثيره ، واستمعت الى القصة وأنا مذهول من جمال الحوار ، وبساطته، وفكرته ٠ وتطلعت الى الرجل المسن كما يتطلع المرء الى الشلال، معجبا بقوة الطبيعة الخلاقة ٠ ان هذا الرجل عظيم الى حد الاعجاز ، وتستحوذ عليك حيوية روحه ، حتى لتعتقد بعدم وجود انسان آخر مثله» ! ٠٠ ولكنه فى الوقت نفسه قاس جدا ، ففى أحد أجزاء القصة ، عندما يغضب الاله على «سيرجى» ويقذف به فى الطين ـ بعد أن عذبه عذابا أليما ـ كدت أبكى شفقة عليه ٠ ان ليوتولستوى لايحب الناس ، وانما يجلس فقط ليدينهم ، واحكامه عنيفة ٠ كذلك لا تعجبنى آراؤه عن الله ، فهو لا يصوره كاله لا غنى ولا حياة للناس بدونه ٠٠ ان ليو يقول عن نفسه « أنا فوضوى » ، ولكنه فوضوى جزئيا فحسب ، فبينما هو يدمر مجموعة من القواعد ، تجده يضع

بدلا منها قواعد لا تقل عنها عنفا وقسوة وشدة على الناس . وليس هذا بالمذهب الفوضوى ، وانما هو نوع من الوصاية . ان قصة « الأب سيرجى » تخفى فى طياتها كل ذلك !

وحين تطرق الحديث الى مسرحية « الخال فانيا » ، واليك، تحدث ليو عنك بحنان وعطف أبوى . تحياتى الحارة وسلامى للاصدقاء فى (يالتا) .

« أ . بيشكوف »

- ١٠ -

(آرزاماس) ، فى ٨ مايو سنة ١٩٠٢

ها أنا ذا فى (آرزاماس) يا صديقى العزيز انطون بافلوفتش تشيكوف . أننى أقضى وقتى متنقلا بين الكنائس (البالغ عددها ستا وثلاثين كنيسة) للفرجة عليها . لقد بلغنى أن الأهالى يخشون من اقامتى بينهم ويقولون : « الآن ستبدأ متاعبنا . ستكثر لدينا المنشورات والثورات » ، ولذلك لا يحضر أحد لزيارتى سوى بعض الأشخاص من الطبقات الدنيا . وهذا من دواعى شكرى لهم لأننى أصبحت حرا أفعل ما أريد ، فأحيانا أقوم بتكسير الأخشاب ، كنوع من التمرينات البدنية . وأعتقد أننى سأتمكن من الكتابة كثيرا ، بالرغم من اننى لم أبدأ حتى الآن .

المكان هنا هادىء ، هواؤه عليل وحدائقه كثيرة ومنتشرة فى كل مكان ، يصدح فيها « الكروان » ليلا ، كما يختبىء الجواسيس تحت أشجارها . **تجد الكروان فى جميع الحدائق ما عدا حديقتى التى لا يوجد فيها على ما يبدو سوى جواسيس الشرطة الذين تراهم جلوسا تحت النوافذ ليلا ، بأمل القبض على متلبسا بتدبير ثورة أو فتنة فى روسيا ! .. وحين**

لا يجدون شيئا، يقومون باحداث جلبة فى الحديقة تبث الرعب فى قلوب أفراد العائلة .

انني أدعو بالمجد والعزة لوزارة الداخلية التى لا تكف عن تسليط الأضواء على ، ففي آرزاماس ابتدأ الأهالى يقرأون لجوركى ولسان حالهم يقول : « لابد أن أقرأ شيئا لجوركى . ليأخذه الشيطان ، فانه اذا اكتشف اننا لا نقرأ له شيئا ، سوف يصفنا بالجهل ! » .. وهكذا أخذوا يتهافتون على شراء كتبى ، وفى هذا منفعة مادية لى ..

الحياة هنا غريبة ، حيث لم أر منذ زمن طويل وفى مكان واحد مثل هذا العدد الكبير من القوم البسطاء . يجب أن تحضر لزيارتنا ، ولدينا منزل واسع به اثنتا عشرة غرفة ، **واذا وجدت الجو حارا والمكان متربا فيمكنك أن تذهب الى (دير بونياتيف) وهو مكان رائع يبعد عنا بحوالى عشرين فرسخا ، وبه نهر مملوء بالأسماك ، وبحيرات وحدائق ، وسبعمائة راهبة - تصور سبعمائة منهن !** - أو يمكنك الذهاب الى صوامع النساك فى (ساروف) ، وهو مكان آخر جميل توجد به غابة صنوبر رائعة . كذلك لدينا نهر « تايوشا » الممتلىء بأسماك « البيرش » و «الكراكى الصغيرة» و « الكروكيان » التى يصطاد منها الأطفال بنجاح كميات كبيرة . سوف نأخذ معا قاربا وأتولى التجديف حتى نصل الى مكان صالح للصيد يقع فى أسفل النهر حيث يمكنك صيد سمك « البيرك » وانت تطالع كتابا !

أقسم بشرفى أن الحياة هنا ممتعة للغاية ، فاللبن جيد، والطيور البرية متوافرة وزهيدة الثمن، حتى أننا نأكل دائما « عصافير البكاشين » ودجاج الوادى .

يجب أن تحضر وبرفقتك العمة « أولجا » ، التى سوف

تتحسن صحتها وتزداد قوة فى رفقة زوجتى التى تشبه يد الجاروف فى نحافتها !

سوف نقضى معا أوقاتا رائعة • سنعلق فراشا من الشباك فى أغصان أشجار الزيزفون بالحديقة ونستلقى عليها ، ونتطلع بصمت الى سماء آرزاماس • اذا قررت جديا الحضور أرسلت زوجتى لإستقبالك فى (نيجنى) •

الى برناردشو

- ١١ -

(كابرى) ، فى ٢٤ يناير

لقد تأثرت جدا من البرقية التى وصلتنى من عدد من الشخصيات المحترمة فى انجلترا ، الذين أعرف معظمهم عن طريق غير مباشر والذين أكن لأعمالهم أصدق الاحترام •

أنى فخور جدا بالاهتمام الذى أثارته مسرحيتى المعروضة حديثا فى لندن ، لأنى عندما أتتبع أعمال الشعب الانجليزى فى محيط الثقافة العالمية أقول لنفسى : هذا شعب ساعد دائما على بث أفكار ايجابية ، وعلى نشر الثقافة الآرية بأقصى قوة وبنجاح واضح •

هذه ليست كلمات اطراء ، ردا على تهنئة ، انما هو اعتقاد اعتنقته منذ زمن طويل • انى سعيد لامكانى اثارة بعض الاهتمام بين الشعب الانجليزى بمسرحية روسية ، وبالحياة الروسية ، وآمل الا يكون هذا اهتماما عابرا ، وألا ينتهى ، وانما يزداد ويؤدى الى نمو فى العواطف الطيبة •

ان العالم يعرف الشىء القليل عن نفسه ، ويبدو لى أنه أكثر ثراء مما نتصور ، فالناس لا يعرفون الا القليل

عن بعضهم البعض ، ولهذا السبب يجدون الحياة صعبة وعسيرة ٠

أنا متأكد من انك ستغتفر لى هذه الملاحظات ، لأنى أود بكل جوارحى أن أرى جميع الناس أصدقاء ، وأعتقد شخصيا بامكان ذلك ، انى أفكر فى ذلك على الدوام ، ولا يمكننى حرمان نفسى من سعادة قوله وترديده مرة أخرى ٠

٠٠ ان الحياة صعبة ، ومع ذلك فان الناس سيتعلمون كيف يحيون بسهولة ، ومرح ، وسعادة ٠٠ ونحن جميعا نعمل لهذه الغاية ٠ اليس كذلك ؟

« م ٠ جوركى »

- ١٢ -

بتروجراد ، فى ٢ ديسمبر سنة ١٩١٥

عزيزى برنارد شو

بلغتنى شائعة سارة بأنك تقف بمعزل عن فوضى الانفعالات التى أثارتها الحرب الهوجاء التى لا معنى لها ، والتى تقضى على الملايين من سكان كوكبنا الذى هو أكثر الكواكب فاعلية ونشاطا ، وأقدرها على العمل الخلاق ٠

اذا سمحت لى أن أحدثك بصراحة فسأقول بأنى لم أكن أتوقع أن أجدك وأنت واحد من أشجع الناس فى أوربا مصابا بالعمى والصمم ، من جراء الانطباعات التى تتركها فى النفس هذه الكارثة العالمية ! ربما كان مذهب الانجلو ـ ساكسون المبنى على التشكك، هو أفضل ما أنجبت الأرض، وهو مطابق لصفاتك المميزة ، كما اتضح من كل شىء بذرته فى العالم ٠

آمل ألا تجد هذه الكلمات غير لائقة ، فلقد أملاها

الحالة السائدة اليوم فى أوربا، وفى انجلترا على وجه الخصوص، أو عن المسرح البريطانى اليوم ، فاننى - بصراحة - لا أصمم على أى موضوع منها . ان ما يهمنى فقط هو أن يسمع صوتك ، وأنت خير من يعرف كيف يتكلم عن أى شىء تحت الشمس بطريقتك الخاصة !

صدقنى ، ليس هذا تملقا ، فلقد قرأت جزءا من مسرحيتك « العودة الى متوشالح » ، ولكم أدهشتنى . انها بالضبط ما يجب أن ينتجه فكرك الثاقب وعبقريتك الأصيلة القوية .

.. أرجو أن تدلنى على واحد من العلماء الانجليز يقبل أن يمد المجلة بعرض مفصل عن نظرية روثر فورد « الراديوم والالكترون » . اذا عرفته فأرجوك افادتى باسمه وعنوانه ، أو (اذا لم يكن فى ذلك ازعاج لك) ، أن تتصل به وتطلب منه شخصيا كتابة المقال .

ثم ، هل تعرف شخصا لمراسلة المجلة ؟ .. أشكرك من أجل ذلك كله .

مع أطيب تمنياتى

« م . جوركى »

- ١٤ -

مدينة (جوركى) ، فى ٢٦ يوليو ١٩٣١

عزيزى برنارد شو

يمنعنى مرض الذبحة الخانقة من الحضور الى موسكو

على شعورى بالاحترام لك • ولى رجاء أتقدم به اليك : أكتب لنا مقالا كى ننشره فى مجلة جديدة أسستها مع رفاق لى من دول مختلفة توضح فيه رأيك فى الموقف الحالى فى انجلترا ، وتشرح أفكارك وتنبؤاتك عن مستقبلها •

•• كما أطلب منك بكل حماس يا عزيزى شـــو أن تساعدنا نحن الروس على خلق الهام جديد فى عقول مواطنينا ، وهى مهمة تقوم بها أنت بنجاح وروعة فى العالم •

أرجو ارسال المقال الى عنوان رفاقى فى استوكهولم ، ودعنى أعرف شروطك •

مع تحياتى

« م • جوركى »

- ١٣ -

مارس ـ أبريل سنة ١٩٢٣

عزيزى برنارد شو

اسمح لى أن أطلب منك الاشتراك معنا فى تحرير مجلة « بيسيدا » ، وهى مجلة علمية وأدبية ستصدر فى برلين باللغة الروسية ، ويرأس تحريرها معى البروفسور ا ـ براون ، والغرض منها اطلاع روسيا على الآداب والعلوم الغربيـة • أنهـا ليست مجلة شيوعية أو ســياسية ، وكل كتابها من المانيا وفرنسا وأســبانيا وتشيكوسلوفاكيا • لقد زودنا « جون جالزورذى » ببعض الصفحات ، كما قدم لنا « هـ • ج • ويلز » كتابه الأخير ، ولكنـــه ما يزال تحت الترجمة الى الروسية •

أرجوك أن توافينا بمقال عن أى موضـوع تختاره • ولسوف يكون ممتعا جدا ولا شك أن نحصل على آرائك عن

لمصافحة يد مقاتل شجاع ، وعبقرى من أكثر الناس ذكاء ٠ انك قد عشت زهاء ثلاثة أرباع القرن ، صوب خلالها عقلك الثاقب ضربات قاتلة لا تحصى الى المحافظين والى التقاليد التافهة ٠٠ اننى مسرور جدا بأن تحتفل بعيد ميلادك الخامس والسبعين فى بلد يقدرك أعظم تقدير ، وبين شعب أخذ على عاتقه أكبر صراع ضد العالم الذى سخرت منه ٠٠ وهو يقوم بهذا الصراع بنجاح ، وسوف ينتصر فى النهاية ٠

« جوركى »

محتويات الكتاب

الموضوع **الصفحة**

دار الكاتب العربى للطباعة والنشر